وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم

كلية العلوم الاجتماعية – قسم العلوم الإنسانية

شعبة علوم الإعلام والاتصال

مخبر الدراسات الاتصالية والإعلامية وتحليل الخطاب

تلفزيون الفضاء العمومي

– مشروع هندسة الاتصال –

قدمت هذه الأطروحة لنيل شهادة دكتوراه

تخصص : استراتيجيات وسائل الإعلام ورهانات الاتصال في الفضاءات العمومية

الطالب :محمد اغولايش **إشراف : أ.د العربي بوعمامة**

لجنة المناقشة

أ.د مالفي عبد القادر	جامعة مستغانم	رئيسا
أ.د العربي بوعمامة	جامعة مستغانم	مقررا
د. بعلي محمد السعيد	جامعة مستغانم	ممتحنا
أ.د بدر الدين زواقة	جامعة باتنة	ممتحنا
أ.د بن ادريس أحمد	جامعة وهران 1	ممتحنا

2021 _ 2020

المحتويات

الملخص (ص 03)

تقديم (ص 06)

الفصل الأول : الأدوار المستمرة للتلفزيون

- أولا : الحاجة إلى التلفزيون (ص 16)
- ثانيا : حديث المجتمع عن نفسه (ص 24)
- ثالثا : أداة الديمقراطية في عصر التلاعب بالجماهير (ص31)

الفصل الثاني : سوسيوسيميائية الحجاج البصري

- أولا : المناظرة (ص 47)
- ثانيا : التلفزيون كامتداد للتغيير الاجتماعي (ص 55)
- ثالثا : الاستجابة للإعلام الجديد (ص 66)

الفصل الثالث : فضاء عمومي مستقل

- أولا : من الفضاء الخاص إلى الفضاء العمومي (ص 79)
- ثانيا : تلفزيون الأقليات .. تجاوز القيود (ص 84)
- ثالثا : فضاء ما بعد القوميات الوطنية (ص 90)

الفصل التطبيقي : مقاربة تحليلية للفضاء العمومي التلفزيوني

- أولا : التصور المعرفي والتمثيل الهندسي للفضاء العمومي التلفزيوني (ص 98)
- ثانيا : البرنامج التلفزيوني " المناظرة الكبرى " (جنوب إفريقيا) (ص 107)

خاتمة (ص 124)

قائمة المصادر والمراجع (ص 128)

أثني بالحمد لله الذي أرشدنا سبيل العلم ونور الفهم وأحيانا منتفعين بهما وبما وسعنا من رحمته.

وأتفضل مجزيا بالتقدير إلى أ.د العربي بوعمامة عن الجهد الناقد المؤطر والتحكيم الراشد والمرافقة المبذولة في سبيل إصدار هذا العمل.

شاكرا بإمتنانٍ لأساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة تقويمهم الأطروحة :

أ.د مالفي عبد القادر، د بعلي محمد السعيد و أ.د بدر الدين زواقة

و أ.د بن ادريس أحمد.

أهدي هذا العمل إلى والدتي وكل من أعاننا بالكلمة والفعل الحسن.

الملخص

يخضع ازدهار التفكير النقدي في المجتمعات المعاصرة إلى معيار التداول الحر للآراء والمواقف الذي يجعل الفرد قادرا على صياغة تصورات غير ملزَمة ببيئة الحقوق وسيادة قوانين الأنظمة، وفي ضوء قيود أخرى محتملة يسلك التلفزيون بإعادة إنتاج الحياة اليومية نموذجا مستقلا وبديلا لبناء عالم عقلاني أكثر عمومية وجدارة في تفادي إكراهات إثارة القضايا المتعارض بشأنها، وينشأ من ذلك في حدود الوصول المباشر للديمقراطية فضاء مزدحم بجماعات وأقليات تخلفت في عالم فجوة التقنية المستمرة عن الظفر بحظوة المشاركة السياسية، كذلك فإن العروض التلفزيونية المستنيرة بالحوار والنقاش ومُسائلة العقل تراهن على إقامة التوافق وتأليف انتفاع فعل التواصل الجماعي.

تستجيب الأطروحة من خلال ايضاح المقاربة النظرية والوظيفية لمأسسة التلفزيون كفضاء عمومي إلى بعث رؤية جديدة لإعادة فهم وسائل الاعلام باعتبارها نُظما حاضنة لحضارة هندسة الاتصال الإنسانية.

الكلمات المفتاحية:

التلفزيون، الفضاء العمومي، فلسفة التواصل، الديموقراطية، الفضاء العمومي التلفزيوني، هندسة الاتصال.

Abstract

The human awareness tends to cover the feeling of alienation and holds on sharing opinions and attitudes within society which can be totally incoherent with the total environmental rights, Under these restrictions and the individuality television reinvents and recreates life by using, critical interaction patterns; and build up a more logical world based on democracy far from minorities pressures and transgressions.

The independent public sphere seeks to allow groups and minorities take part in real political life by participating in TV shows; debates; and discussions; ... that challenges to create a real sphere for discussions interaction and critical thinking in order to achieve common convictions and tacit agreement; even among individuals.

This thesis tackles the different theories Linked to Media " as a public sphere" and, on the other hand, it draws a New vision to Media as systems underpinning a civilization of human engineering communication.

Keywords:

Television; Public Sphere; Communication Interaction Philosophy; Democracy; Televised Public Sphere; Communication Engineering.

Résumé :

La conscience humaine a tendance à couvrir le sentiment d'isolement mais partage d'autres aspects avec la société tel que les opinions les attitudes et même s'ils sont en total incohérence avec les régimes et l'état de droit et leur environnement, causant toutes ces restrictions et individualismes, la télévision réinvestit et reproduit la vie à travers l'interaction et l'esprit critique comme un mode de construction d'un monde réaliste et pertinent basé sur le publique en suscitant et traitant des affaires très délicates.

la télévision est entrain de développer une vrai démocratie; une vrai sphère publique qui permet a tous de s'exprimer et qui englobe toutes les catégories et les minorités dans un cadre d'une politique participative, Ça permets à tous de s'exprimer à travers les débats; les discussions; et les esprits critiques afin d'arriver a un Consensus dans les arguments et les convictions, une vrai synergie relationnelle entre individu au sein du même groupe.

Cette thèse apporte des clarification sur les différentes approches liées aux Media et propose une nouvelle vision inédite afin de reconsidérer sens; en tant que systèmes englobants la civilisation de l'ingénierie de la communication Humaine

Mots clés :

Télévision; Sphère publique; Philosophie de la communication; La démocratie; La sphère publique télévisée; Ingénierie de la communication.

تقديم Introduction

غالبا ما يُزعم أن " القانون والنظام " هما شريان المجتمعات النابضة بالديمقراطية، بل ويراهن عليهما بشكل خاص في تفسير التحولات التاريخية والسياسية لديناميات السلطة، هذا التقليد هو المناسبة التي يترك فيها العقل فلسفته وتتصدر الدولة إنشائية عمليات تبرير الوظائف الاجتماعية دون أدنى فرصة للفرد تمكنه من تجاوز افتراضات مؤسسات التعليم والتنشئة التقليدية نحو مساهمة منه لإعادة بناء ثقته في العالم اليومي وكسر التوتر بين الحقيقة كما يتم إنتاجها وعرضها والحقيقة كما هي في الواقع أو كما يراها هو، يمكن الوصول إلى توضيح جدلي في هذا الصدد عندما نمثل ذلك بأن نورط فردا ما في أن يتحمل مسؤولية ممارسة حكم ضد واقع دستوري دون أن يعتمد على القوة والعنف اتجاه نفسه أو اتجاه الآخرين، ونأخذ في الاعتبار بيئة دولة نُظمٍ تنكر أية عقلانية مستوحاة من نضج المواطنين، من الصعب يقول " إيمانويل كانط Immanuel Kant " أن ننجح في التخلص من عبودية الأوصياء والاستبداد دون الاستخدام العمومي للعقل، ولكن هل العمل على نهج التنوير الكانطي غير محفوف بالمخاطر ؟

لاشك في أن هذا النموذج من التداولية محدود ومقيد بشرط تمكين العقل من التواصل بصلاحيات قابلة للنقد وما إلى ذلك من إظهار الاستعداد الدائم للبحث عن إجماع يتقاسمه من هم يمثلون "القانون والنظام" ومن هم يؤمنون بتجاوز أشكال الحياة المهيكلة بالتوجه مباشرة إلى إرادة " العقل التواصلي " بعد ذلك لن يكون من الممكن للسياسيين والمشرعين سوى أن يناقشوا الحياة مع النقاد والمواطنين في فضاء معد خصيصا لتناول الآراء والأفكار بطريقة جيدة تفسر محل الخلاف وتفحص المواقف والحجج على نحو قابل للتحليل وليس مثل أن يتم ادعاء الصحة بالقول " نعم " أو ادعاء النفي بـ " لا "، هذه القواعد تبدو غير كافية للشعور بصراع مثالي تفشل سلطة الدولة البيروقراطية ومخاطر الاستيلاء على حرية المتحمسين للحديث في الامتداد إليه، وبالتالي فكرة الخلاص بأسلوب غير مشروط من أفعال الإكراه الواقعي والامتثال القانوني

لكافة وسائل القسر مسألة معقدة، عوامل أخرى مثل العرف والتخويف المسند إلى توقع العقاب تكبح سلوك جميع الأشخاص الذين يفكرون في الاعتراف العلني بحقوقهم باستثناء المجتمع الجماهيري إذ مُقدر أن يتحقق السبيل نفسه حول الاعتراف العمومي بالحق بموجب الاستقلالية التي تضمنها حرية التواصل في نظم وسائل الإعلام المستمرة في الوقت نفسه بمراقبة الالتزام بالحرية المتساوية للجميع حتى لو كانت قضية المتخاطبين " الفضاء " نفسه.

وهكذا فإن فرضية بناء المواقف والآراء من علاقات المواطنين بعضهم البعض في الحياة اليومية حقيقة فرعية، من دون توجيه الإنكار لها نميل إلى دراسة ممارسة تلك العلاقات بتأسيس " هيكلي " بمفهوم آخر تهتم أطروحتنا بالبحث في " نظام " مستقل يضمن تداول النقاش العمومي وجها لوجه، يحشد ويوحد التواصل ويضمن المشاركة في صنع القرار وإبداء الرأي بالتساوي للجميع، وتستقر رؤيتنا على اعتماد تجربة " التلفزيون " في بلورة فضاء عمومي مادي وآخر مجرد .. قومي، ما بعد القومية، داخل الحدود الوطنية وخارجها، لا ينتهك السيادة ولكنه مشروع لهندسة اتصال حاسم بشأن المقدرة على تفويض الجماهير في شؤون الحياة السياسية وإضفاء مؤهل ثالث بعد " العقل الناقد، الأخلاق، التداولية " هو " الاستقلالية " يؤدي إلى نموذج اعتراف عام متفرع من العقد الاجتماعي على أساس التمتع بالحريات.

إلى هذا الحد بأخذ المزيج التلفزيوني " عروض تمثيل الواقع كما يحدث، المحاكاة البصرية الحية، برامج الحجاج والمناظرات.. " في الاعتبار نتجه إلى التسليم بأن حلقات الجمهور داخل الاستديو في " النموذج المادي " وجلسة المشاهدة المنزلية في " النموذج اللاّ مادي المجرد" تصل الاستخدام الخاص والعمومي للتواصل في فضاء يشمله الزمن الواحد والمكان اللامحدود بقدر ما يكون أدق من القرية الكوكبية لـ "مارشال ماكلوهان Marshall McLuhan " وأوسع من فضاء " يورغن هابرماس Jürgen Habermas"، ومع ذلك يدفع في الكثير من الأحيان ضعف هيئات التلفزيون إلى تأثّر معايير الحياد

وبالتالي السيطرة على التنافس المحتمل في مفاوضة صناعة الرأي واحتكار العبور إلى برامج الجدل التي يتوقع منها الاهتمام أكثر بعيوب السلطة وأداء المسؤولين وحملها أن تلقي بظلالها على الشك في كفاءتهم أو حتى الانخراط في رقابة جماهيرية تميل باستمرار إلى تصور خلاف حول التزاماتهم الانتخابية على سبيل المثال لذلك لا يكفي أن يكون الفضاء معرّفا برابطة العمومية وتلك الحرية الكلاسيكية ومؤسسة مستقلة، بل إنه بحاجة إلى ذاتية قابلة لرسم إرادة ثابتة على مبدأ " لا تنازل على الاستخدام العام للعقل " هذا ما يفسر الصراع الشديد بداخلنا ونحن نرشح الأطروحة لبذل نهج تنظيري وآخر وظيفي أكثر واقعية ملحق في ضوئها يدفعنا إلى أن نسأل كيف يؤسس التلفزيون فضاء عموميا مستقلا للجماهير ؟ وما مدى تأصّله كمشروع للديمقراطية التداولية ؟

يوضح كشفنا عن إشكالية الأطروحة التمسك بتناول الجانب العام لفلسفة التواصل بما يكفي أن يبرر جاذبية تفاعلات مجتمع التلفزيون في ظروف واقعية سواء كان هذا من الناحية الأخلاقية أو الاستوصاء بالحريات ضد كل إكراه شائن، يمكن إرجاع أسباب اهتمامنا بالموضوع إلى رغبتنا في إنجاز مهمة ضمن سياق النظريات الاجتماعية تمسك بمفهوم الفضاء العمومي التقليدي وتأخذه في رحلة إرشادية إلى ممارسة مثالية قابلة من حيث المبدأ أو بالنسبة لنا على أن تكون بمثابة دليل مباشر لبناء الفضاء العمومي التلفزيوني كما نفترضه منظومة لصناعة الإرادة الشعبية التي تنشأ من خلال قوام ذو بعدين أولهما هندسي وآخر أخلاقي يعتمد على الخضوع الجماعي لقيم التواصلية العقلانية.

نعول من خلال المنهج التحليلي الاستدلالي " التأويلي " سبر البديهيات العامة للفضاء العمومي بمقدمات يُستدل بمسلماتها لعرض الجزئيات ذات العلاقة المباشرة بالإشكالية بأسلوب منطقي متراتب يفضي في فصل المقاربة التطبيقية من الأطروحة إلى استنتاج على نحو من القياس والترجيح العقلي، وقد اتبعنا خطة متفرعة إلى جزأين :

أدرجنا في شطرها الأول فصولا ثلاثة لإثبات جوانب العلاقة المتنامية بين الإنسان، الجماعات والتلفزيون على مدى الأدوار التي يستمر في إذكائها مع بيئة التقنية سريعة التقدم ونزعة الاعتماد الدائم عليه في تأميم قلاع الأنظمة السياسية .. وهذا ما جاء في الفصل الأول المعنون " الأدوار المستمرة للتلفزيون "، وازدحم الفصل الثاني بالافتراضات الأساسية لملمح سيمياء الحجاج البصري المنعكس على الحياة الاجتماعية والواقعية، في هذا الفصل المركزي استعرنا " المناظرة التلفزيونية " حتى يستوعب القارئ نموذجية التلفزيون العقلانية، وامتد الفصل الثالث إلى وصل الأطروحة بتحولات الفضاء العمومي في إرث الأيدولوجيات السياسية ومن ذلك جاء بيان خصوصية الفضاء العمومي التلفزيوني المنسجم مع الفضاء الخاص وديمقراطية الأقليات وتكافؤها لدى الجماهير وكيانات ما بعد القومية، كما عرضت الدراسة في آخر أوراقها فصلا للمقاربة التطبيقية اعتمد أداة تحليل المضمون للوقوف على الأساليب والمعايير التي تتولى هندسة أجزاء الفضاء التلفزيوني وإدارته من خلال إجراء اختبار على عينة من مناظرة تلفزيونية مع تقديم تصورات قائمة على الفضاء الأثيني والهابرماسي.

لقد دفعنا الاهتمام بهندسة الاتصال إلى التفكير في تحديد أهداف واضحة لهذا العمل أهمها تجاوز الإسقاطات القائمة على اعتبار وسائل الإعلام والتلفزيون أدوات أو وسائط من المحتمل أن تؤدي أدوارا وعروضا تجسد التضامن والصراع دون أن تكون بيئة معدة لقيام فضاء عمومي، كما أن الغرض من الدراسة لا يكتفي عند ذلك القدر من توضيح اجابات على الاشكالية بل إثارة الانتباه إلى ضرورة الاعتماد على تطبيقية المفاهيم المتداولة لدى المدرسة الألمانية تجنبا للمنطق التقليدي في البحوث المستقرة عند نقل القضايا الفلسفية كما هي من دون ابراز كيف تتطور الظواهر الاعلامية بعيدا عنها، ومع ندرة الدراسات السابقة المشابهة لموضوع الأطروحة باللغة العربية نراجع أهم الأعمال الأجنبية ذات الصلة بها :

الفضاء العمومي المتلفز Televising the Public Sphere: استهدفت الدراسة التي نشرها " هنريك أورنيبرينغ Henrik Örnebring " في العدد الرابع من المجلد الثامن عشر للمجلة الأوروبية للاتصال عام 2003 فحص البرامج الحوارية للتلفزيون السويدي كمحور لوصف استراتيجية وأنماط النقاش الإعلامي منذ عام 1956 إلى 1996 لاسيما استنطاق نظرية الفضاء العمومي من خلال إلقاء الضوء على العوامل المؤثرة على الخدمة العمومية للنقاش العام، وعمد المؤلف إلى إجراء مقابلات مع منتجين وصحفيين من مضيفي البرامج الحوارية مع تجميع حلقات البرامج المؤرشفة لتنفيذ اختبارات تحليلية نوعية وكمية وزعها على ثلاث مراحل تصف التحولات الرئيسية : أولها المناقشات العامة المستقرة أو المهذبة من 1956 إلى 1967 ثم النقاش العمومي النقدي من 1968 إلى 1983 وآخر المراحل النقاش العام الشعبي وحددها بداية من عام 1984 إلى 1996، وانتهت الدراسة إلى أن برامج نقاش قضايا الشؤون العامة تستحوذ على جزء كبير من التنافس على تسويق المثل السياسية والثقافية المرتبطة بالسياقات المجتمعية وتعمل كوصية على الفضاء العمومي وكأداة للتعليم والتنوير في مرحلة ما، كما أنها ساهمت في احترافية الصحافة وتحمسها للاستقلالية والبناء النقدي للخطاب الإعلامي، وعلى الرغم من أن المؤلف قدم سردا مفسرا تعرض للبرامج الحوارية وحلقات المناقشة التلفزيونية من المستوى المفاهيمي للصناعة التلفزيونية والنموذج النظري لـ " يورغن هابرماس Jürgen Habermas " إلا أنه لم يبتعد عن النظرة الوسائلية للتلفزيون، على عكس أطروحتنا التي تضع صوبها الفضاء العمومي كمشروع مستقل يستثمر التلفزيون في مأسسته .

أما أقرب الأعمال إلى اجتهادنا فجاءت في مؤلف " بيتر دالغرين Peter Dahlgren " المعنون " التلفزيون والفضاء العمومي Television and the Public Sphere " قمنا باستطلاع مقاربته في مدخل الفصل الثالث من الأطروحة.

إن المساهمة النظرية لفهم بيئة الفضاء العمومي التلفزيوني أو تلفزيون الفضاء العمومي The Public Sphere Television لا مناص بحاجة إلى تقديم عرض يتجاوز الفلسفة الأداتية لوسائل الإعلام إلى حد ما، وهذا ما نهدف إليه من خلال الالتزام بفحص موضوعي محيط بغايات التواصل وما يفعله العقل عند تداول الناس للمعرفة والتجارب، وإذ نهتم دوما بالفصل بين الوسيلة والفضاء العمومي فإننا نعمد إلى تحريره مما درجت عليه دراسات الإعلام من تراكيب أفرطت في إعادة استشكال وظائفه بحالة من المثالية الأفلاطونية من دون تجاوز الحدود المكانية والمسلمات المكتسبة من المرجعية الفلسفية الألمانية، ولذلك يبدو لنا أن دراسة تحولات الفضاء لا تقتصر على المنطلقات المتعالية بل تقتضي السير في مضمار التفكير في فلسفة التأسيس والنشوء حتى نتمكن من الكشف عن الجدوى الحقيقية من الرؤية العالمية للتواصل الخاضع للأخلاق الكونية.

نوضح المصطلحات الرئيسية في السياق الخاص بهذه الأطروحة:

التلفزيون Television : مؤسسة إنتاج تؤدي مهمة الصناعة الاعلامية المرتبطة بنشاط البث التلفزي وهو نظام يعهد إليه إقامة فضاء ثنائي " مادي " يفترض الحضور الطبيعي والفيزيائي للجمهور داخل أستوديو أو موقع التصوير، وفضاء " لامادي " ينشأ عن نقل المحتوى عبر الساتل والمحطات التلفزيونية للجماهير المشغّلة لجهاز التلفزيون بإخراج حي أو مع فوارق من الزمن، و– جهاز التلفزيون – يُعرف بالاسم نفسه منذ الربع الأول للقرن التاسع عشر وحتى الآن على أنه الوسيلة المفضلة عند ملايين البشر عبر العالم للوصول إلى الأخبار والمعلومات والأحداث المباشرة، يبث الثقافات الشعبية ويذكي الحياة اليومية ببرامج الحوار والنقاش.

الفضاء العمومي Public Sphere بالألمانية **die Öffentliche Sphäre** : هو الحيز أو الرقعة " المادية " الفيزيائية أو المجال أو الحالة " اللاّ مادية " الافتراضية .. الضامة للمصالح الإنسانية الطبيعية والمعنوية المختلفة أو شؤون العوالم الخاصة للأفراد والمجتمعات التي يثيرها التواصل بين الناس لا يَستثني هذا المجال أيّ من البشر المستعدين للالتزام بأخلاقيات النقاش في تأليف رأي عام أو إجماع عقلاني نقدي بشرط الانعتاق للبرهنة وسلوك المحاججة، يرجع الباحثون والفلاسفة النهج الموضوعي للفضاء العمومي إلى " أرسطو Aristotle " و " إيمانيول كانط Immanuel Kant " والمعياري إلى " يورغن هابرماس Jürgen Habermas ".

الفصل الأول: الأدوار المستمرة للتلفزيون

Ongoing roles for Television

أولا: الحاجة إلى التلفزيون

ثانيا: حديث المجتمع عن نفسه

ثالثا: أداة الديمقراطية في عصر التلاعب بالجماهير

مدخل الفصل : يُنظم الأفراد العلاقات في يوتوبيا المدينة الفاضلة عن طريق شبكات الاتصال الإنساني التي يؤمنون بأنها جزء من ثقافة الجموع والمساواة بين الناس .. بخلاف ذلك في يوتوبيا الواقع من المطلوب أن يدرك كل واحد منا ضرورة " التواصل " عبر وسائل الإعلام حتى عندما لا تنوي الجماهير غير الوصول إلى الأحداث والمعلومات دون أية تجاذبات، وإذا كانت الفكرة الرئيسية من نظم وسائل الإعلام هي مساعدتنا على أن نناقش الحياة اليومية ونتمتع بقيادتها لتصوراتنا فإنه من المهم أن تعكس هذه الأخيرة الحالة المزاجية للجماهير بدون أدنى تقصير، وعلى الرغم من اعتبار المستهلكين وسائل الإعلام وسائطا تتبع توقعات السلوك فإن مجرد البحث عن ملذة استخدامها للظفر بالخدمات يحتمل تحقيق المزيد من النجاح للوسيلة أكثر منه للمستهلك أو المنتج، فالتسليم والخضوع تقليد يقوم عليه مبدأ الاستخدامات والإشباعات كنموذج سائد لا يتوافق مع الأيديولوجيا والدلالة المرتبطة بإنتاج الرسائل، لكن على ما يبدو فبناء الموضوع خارج النص يتم التعبير عنه بالاستقلالية في وسائل الإعلام باستثناء الجرائد والمطبوعات التي لا يمكن أن تفصلهما عن بعض بأي أسلوب تحرير كان، على العكس مع التلفزيون .. هو المحور المركزي نفسه لصناعة الموضوع كآلية إنتاج تؤتي غايتها عند مماثلة الواقع وليس الموضوع مع النص، إنه يُمكّن للفرد الاختيار بحرية بين البرامج داخل الحدود الوطنية أو خارجها، غالبا ما يرتبط التلفزيون بالهوية الوطنية ولكن حاجة التوسع لعبت دورا في إضفاء ثقافة خاصة لدى جمهوره مما أدى إلى بروز التنوع الهائل من الحقائق والآراء كما هو الحال اليوم، وانعكس ذلك على رسوخ الحاجة إليه دوليا والولاء إلى ما يقدمه كأمر مسلم به.

في أولى أيام التلفزيون لم يكن يتنازل المنتجون عن الربح مقابل تحسين معالجة المحتوى .. تلك هي معايير السوق آنذاك حتى تسعينيات القرن العشرين ومع انتشار خدمة التلفزيون المدفوع تغيرت عادات المشاهدة وأصبح للجمهور المبادرة في انتقاء المحطة المفضلة ولكن بمعدل منخفض، وربما بشكل سلبي خاصة بعد

انتشار قارئ شريط الفيديو .. أثّرت هذه الثقافة على حصة مشاهدة الأخبار والأحداث الهامة، إلى أن تحولت شاشة التلفزيون إلى سينما منزلية لعرض الأفلام، وعلى الرغم من ذلك ظل هناك جمهور واسع يتفاعل مع مثل الأجهزة المدمجة على أنها وسائل ترفيه لا تؤثر على أي حال في الاستخدام الرئيسي للتلفزيون، لاحقا قضت وفرة الفضائيات بالكساد عليها وسنحت للجماهير من مشاهدة جميع جوانب الحياة والمشاركة في صناعة المحتوى مثلما يقع ذلك على عاتق مستخدمي التلفزيون الذكي اليوم.

لعبت القنوات التلفزيونية دورا حاسما وبعيد المدى في تحولات ثقافة وسائل الإعلام نظير استفادتها من ثورة الاتصالات وما أتاحته من سرعة الوصول إلى الأحداث ومشاركتها بآنية مع المجتمع، تلك هي اللحظة الحاسمة التي سعت إليها هيئات البث التلفزي مستمرة في إبهار الجماهير، فعند مقارنة الفضاءات الجديدة بالبث التلفزي تبدو التفاعلات الفورية ليست الأمر الحاسم كنوع من عناصر الخبرة بالنسبة للجماهير، ومن الجانب الآخر الأكثر أهمية لم يعد من الممكن احتواء الأخبار الكاذبة والمحتوى المضلل بما في ذلك العادات السيئة للنشر في الوسائط الإلكترونية، وبقدر عواقب هذه المعضلة التواصلية أخذ التلفزيون مسؤولية معالجتها عبر إعادة بناء المعرفة على أساس التحري من الواقعية والحقيقة المزيفة.

أولا : الحاجة إلى التلفزيون Need for Television

يُثار في تصور الأمم المتحدة من خطابٍ نشرته يوم 21 تشرين الثاني / نوفمبر 2020 جاء فيه :

" اعترافا بتأثير التلفزيون المتزايد في صنع القرار من خلال لفت انتباه الرأي العام إلى المنازعات والتهديدات التي يتعرض لها السلام والأمن ودوره المحتمل في زيادة التركيز على القضايا الرئيسية الأخرى .. ليس اليوم العالمي للتلفزيون احتفاء بأداة بقدر ما هو احتفاء بالفلسفة التي تعبر عنها هذه الأداة .. ولا يمكن إنكار أثره في السياسة العالمية وحضوره فيها وتأثيره في مجرياتها " [1]

أن أهلية التلفزيون البارزة كظاهرة كونية تدير أساليب التأثير والإقناع أخذت حيزا هاما من الاستحقاق العمومي للاتصال وسياقات تعقب الواقعية اليومية فضلا عن تعزيز الطابع العقلاني للأحداث من حيث مبدأ "الحق العام" لا المصالح المباشرة للأفراد المتنامية في الوسائل المبتكرة حديثا على اعتبارها منصات عرض وبث ترتبط أساسا بدعائم السوق التقنية والتعبئة الاجتماعية، وعلى الرغم من اهتمام جماهير كبيرة بإدارة النقاش بحرية عبرها إلا أن ما أتاحته من بدائل تواصل لصالح " مُعادات الديمقراطية " وممارسة العنف ونشر خطاب الكراهية والعنصرية والأخبار الزائفة أشعرنا بالقلق وعزز الرغبة في تعميق ارتباطنا بـ " النظام التلفزيوني "كأغنى آلة جماهيرية تنوعا ومحتوى وأهم مصادر المعلومات الموثوقة في كوكب سيشهد ارتفاعا في عدد الأسر التلفزيونية بحجم 1.74 مليار بحلول عام 2023 مع زيادة 11 مليون في غضون 06 سنوات بحسب الأمم المتحدة.

لم تعد تستوعب دراسات التلفزيون الحديثة المهتمة بنظرية تحول بنية وسائل الإعلام مناقشة فروق الاستخدام ومقارنة شاشة المنزل مع اللوحات الإلكترونية المحمولة، بل وألغت اصطلاح " وسائل الإعلام التقليدية – الكلاسيكية " مفترضة ازدواجية بين المستويين " الجوهر البصري " و " سيطرة الجماهير "، كما أظهرت النزعة

[1] الأمم المتحدة. (2020/11/21)، **اليوم العالمي للتلفزيون**، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2021/06/17، رابط الموقع https://www.un.org/ar/observances/world-television-day

الوسائلية المادية في تحليلها لتقاليد الممارسة الإعلامية والمبادئ الرئيسية للخدمة الصحفية أن الالتزام بضمان نشر الآراء والمعلومات في الفضاء العمومي أهم من اتخاذ موقف من علاقة مباشرة بين شخصية الوسيلة أو المؤسسة بما يبث، وهو ما يلائم ذلك الخليط من الاتجاهات الأكاديمية البعيدة عن دراسات التأثير والمثمرة إلى إطلاق " التلفزيون الهجين " على نتائج المراحل الناعمة التي درجت إلى تجاوز الحجج التقنية الممكنة لوسيلة على حساب أخرى دونما اعتبار أي الوسائل أكثر استجابة للمزيج الثقافي والاجتماعي جماهيريا وأي منها أقل تفكيكا لقيم التواصل ونشرا للخداع والمعلومات الكاذبة والأنانية واللامعقولية، وحتى دراسات تحليل الخطاب التلفزيوني لم تتمكن من وضع الاختلافات المحتملة لبث أخبار الجرائد عبر الشاشة على محددات واضحة تسنح لنا فهم سياق إعادة صياغتها بوصفها إنتاجا براغماتيا لا علاقة له بتطور لغة التلفزيون كظاهرة خطابية وذلك ما يميزه المفكر " فيرون ايليسيو Veron Eliséo " في مقال تحليلي " انه هنا، أنا أراه، انه يكلمني "، متجاوزا للإشكالية في مستوى إنتاج المعنى الجديد للحالة الخبرية، عندما يكتب أن " الخطاب الاجتماعي ليس فعلا كلاميا "[2]

لقد جذبت هواجس مستقبل عصر البث " التلفاز " إلى مناظرات سطحية شبيهة بما طال الراديو بعد نهاية الحرب الباردة وبزوغ عالم الساتل والألوان الرقمية، وبشكل منحاز إلى النموذج المتشائم فان الرصاصة التي فجرت رأس الراديو حفزت في راهن السنوات القريبة الماضية لمحاولة تسديد ضربة نحو التلفزيون باعتبار أن ثمة صناعة أكثر إمتاعا وبراعة في سرد الحياة اليومية، ومع ذلك لم تصبح فكرة " نهاية الراديو " صالحة بالقدر الذي يسمح اعتمادها كمبدأ في نقد ظاهر وجوهر الأسلوب التلفزيوني المتكافئ مع تكنولوجيا الذكاء النوعي المواكبة لعصرنا أو المخاطرة بعزل التجارب الحسية " المشاهدة – الاستماع " عن تجارب " التفاعل " السلوكية لنشر تصورات تورط دينامية " التحول الوسائلي " في تخمينات غير جادة مرتكزة على تقليد " رسكلة وسائل الإعلام الثقيلة "

[2] Eliséo Veron ، " **Il est là, je le vois, il me parle** " ، Sociologie de la communication ، v01 ، n°01 ، 1997 p524

في ظل تعدد رهانات الاتصال الرقمي في مجتمع الإعلام، ولا يستند في هذا سوى إلى مستوى الإبهار ومحاكاة الواقع مع تجاهل كثافة الإثارة ومشاعر الجماهير عندما يتم إلغاء فعاليات النقاش لحساب " النشر الواسع والذيوع والآنية " مما يفضي إلى " راي عام مضلل "، إن توضيح جوانب هذا التداخل وما إن كان احتضار التلفزيون حقيقة أم هجمة ممتدة من فوبيا كلاسيكية درج على تقاذفها باحثون منشغلون بالتراكمية من المطبوعات إلى الراديو إلى السينما ومن السينما إلى التلفزيون يحتاج منا الاطلاع ولو عن كثب على اسهام الباحثة الأمريكية " كاثلين فيتزباتريك Kathleen Fitzpatrick " في كتاب نشرته سنة 2006 " القلق من التقادم : الرواية الأمريكية في عصر التلفزيون " حيث انتبهت إلى أن الحداثة التي حملت في مشروعها "طيف ما بعد الحداثة" شتتت المؤسسات الثقافية والاجتماعية بين الخوف من هيمنة أنظمة اتصال جديدة لا تنسجم مع الوسائط والأدوات المتصارعة مع الإيديولوجية الواحدة وبين أداة توجهها سلطة تتفاوض مع الجماهير بألوان من الأيديولوجيات المتناقضة [3] وبأصوات متعددة مرتفعة من صندوق منزلي مضيء هو أشبه بمعول يهدد بالإجهاز على " الرواية " وتمثلها الكاتبة في مؤلفها برجل عجوز يحتفظ بذاكرته حية بينما ينحني ظهره لثقل حركة التطور الأسطورية للتلفزيون وحتى لا نستجيب لمنطق التبني العام للخلط المقصود بين وسائل الإعلام يفترض علينا أولا أن لا نستسلم للجدليات القائمة على إبطال أثر وسيلة لمجرد ولادة أخرى وازدهارها لفترة تاريخية سرعان ما تطاردها محاكم الأخلاق ومراصد المصداقية كما يحدث مع الصحافة الرقمية اليوم.

ناقش " سكانل بادي Scannell Paddy " في مؤلف " Media and Communication " منتهج الدراسات في تطور وسائل الإعلام ونشوء التلفزيون المعولم، وارجع أن لا يفسر سؤال التحول في منأى عن نظرية الحتمية التكنولوجية لـ " مارشال ماكلوهان Marshall McLuhan " باعتبار الابتكار انعكاسا لظاهرة تاريخية واجتماعية وامتدادا لهما لا يمكن تجاوزه، إذ يؤثر بشكل ملهم في عصرنة وسائل الاتصال موازاة مع تعلق

[3] Kathleen Fitzpatrick, **The Anxiety of Obsolescence The American Novel in the Age of Television**, First edition, Vanderbilt University Press, USA, 2006, p25

الإنسان بالأدوار التي تؤديها[4]، وفي سياق مشابه أثارت " غيني إينلي Gunn Enli " و " ترين سيفرتسن Trine Syvertsen " في مقالة بالعنوان الاستفهامي " نهاية التلفزيون – مرة أخرى ! كيف يتأثر التلفزيون بالعوامل الثقافية في عصر الوسائط الرقمية ؟ مسلمةَ إعادة اختراع التلفزيون لنفسه من مدخل الاستجابة المبكرة لتحدي المرونة المشهود وسط جل وسائل إعلام الجيل الثاني بداية من ثورة الطباعة والسينما إلى الانفجار الرقمي، وحيث ما تجاوز التلفزيون حدوده كنظام ثقافي صار بالإمكان تذوق صناعته بمرونة أكبر في بيئة إعلامية عالية التأثير توحي باستقلاليتها كما يشاء نقاد التلفزيون القول .. بينما يمارس التلفزيون وجوده منغمسا في محتواها لامتلاكه البنية الاتصالية الضرورية لذلك،[5] وحيثما تختلف الوسائل بطبيعة المناولة وخيارات الاستخدام تتواتر مشاكل التنظير المحيطة بتطورها إذ ثمت فروق هامة من شأنها تفسير مؤشري " التقادم " أو " الارتقاء" وفي التجسيد التصويري للتلفزيون تنكشف تلك الازدواجية بين المؤشرين معا من خلال :

أ – المكانة المتجددة : بغض النظر عن مستوى التطور الفني للصورة المتحركة ومحاكاتها للواقع من الامتداد الرقمي لتكنولوجيا الإشارة يحتفظ التلفزيون مع ضمانه للخدمة العامة باختزال الأبعاد الوطنية والعابرة للحدود ومن الأساس امتلاك شاشة منزل تشاهد من خلالها ما يحدث وهو يحدث مجانا دون عناء بمثابة جزء من النضج الحضاري إذ أن التنوع الممتع في الحديث التلفزيوني عزز لمحدودي التعليم التوزان الاتصالي وسط الفئات المجتمعية المتباينة الأخرى بما في ذلك تطويع الحقوق الإنسانية المرتبطة بالمساواة في الوصول إلى المعلومة، ومادام التلفزيون قد استمر في إحراز السبق في التميز بهذه الأدوار لما يزيد عن منتصف قرن سبقا خالصا دون أية منافسة، فإن ما أضافته التقنية من إذكاء لشخصيته الرمزية رتبه في درجة متقدمة ضمن قائمة أكثر المصادر تداولا في الوسائط الرقمية ومنصات التفاعل، وأفضى ذلك إلى تشكيل " متلازمة تعاطي التلفزيون " يتصورها المشاهدون كتدفق مفرط من الواقع ولذلك فهم يستبعدون عادة احتمالات الشك فيما يشاهدونه وفق رأس مال سيكولوجي يغلب

[4] Paddy Scannel, **Media and Communication**, SAGE Publications, First edition, London, 2007, p149
[5] Gunn Enli and Trine Syvertsen, " **(Not Yet) The End of Television** ", Media and Communication , Vol 04, Issue 03, 2016, p 35

على تقاليد الحذر من أخبار الجرائد وراديو كذبة "غزو الكائنات الفضائية" فللصورة الحية مقدرة على ربط الجماهير بالواقعية وتجاوز الأشكال المتعددة للخطابة المسموعة أو المخطوطة المحدودة في تجسيد اندماج الموضوع بحقيقته، إن مبدأ سيطرة أنظمة التلفزيون الواسعة يفرض التحكم في عناصر الفعل التعبيري في سياقه الاجتماعي الخاص دون أن يشعر المستقبلون بأي التباس أو توزيع غير متجانس للفعاليات المعروضة، هذا ما يبدو واحدا من النماذج الاتصالية الحديثة في بناء علاقة متقدمة بين الإعلام الجديد والفضاء العمومي، وبحيث ينسجم التلفزيون مع نزعة المساواة والديموقراطية تتحقق الوساطة بين فعل " التفاوض " مع البيئة والسلطة ودفعه بالإكراهات الخارجية لرسم حدود للرأي العام تخضع للرغبة في إعادة إنتاج الحقيقة بشكل يستثمر في المعرفة إلى جانب تلاشي حقل "مجتمع التلفزيون " وبزوغ شبكة "عولمة التلفزيون".

ب – أثر المحتوى في توجيه السلوك : إن العديد من تشكيلات البث القابلة للفهم والتحليل لم يعد ينظر لها كنقل للعوالم، بل العواطف والمعارف وتلك الحياة المنزلية المتعلقة بالصورة المتدافعة بين الخير والشر مثلت التلفزيون ككائن المدينة الفاضلة الملحمي يفرض استخدامه الروتيني وأسلوبه تأثيرا على الإدراك يمكن أن يكون متباينا ولكن نتائجه النهائية مألوفة وفي الغالب ما تحقق سلوكا موحدا، مثل الشعور الجماعي بالفوز عند مناصرين تابعوا عبر التلفاز احراز فريقهم للكأس وينطبق ذلك على تلفزيون النقل المباشر حيث تختفي أشكال الرقابة لتصبح الجماهير مشدودة الانتباه متصلة بغرفة الإخراج التلفزي، ومع انخفاض تكلفة امتلاك الأفراد لأجهزة الاستقبال الرقمية أصبح من الممكن تتبع أثر التلفزيون بشكل دقيق عند إعادة استخدامهم وتفسيرهم للمواد التلفزيونية إذ يسمح استقراء المواقف وردود الفعل بترتيب معاملات التأثير الاقتصادي للاعتماد عليها بشكل أساسي في أسواق المواد الواسعة الاستهلاك وصناعة الإعلان.

ج – سلطة التلفزيون : ظهرت الجيوش المغمورة بالنزعة الاستعمارية أو الوطنية التحررية من نافذة التلفزيون وهي تفرض منطق تحكمها بزمام الصراع على السلطة باحتلال مقرات التلفزيون كما كان مشهودا في دول

عديدة من العالم، عام 2016 الخامس عشر يوليو اقتحمت مجموعة من جنود الانقلاب في تركيا مبنى القناة الحكومية TRT في العاصمة أنقرة وأجبروا مذيعة الأخبار على بث بيان حظر التجوال تابعته الجماهير بقلق كان سلاح التلفزيون الوسيلة الأهم في تلك اللحظات الحاسمة، ويفسر ذلك تخطيط الجيش المنشق للتحكم في غرفة الأخبار حتى يؤدي إلى الإذعان العام المباشر بتأميم قلاع السلطة في البلاد سياسيا وعسكريا.

صورة شاشة – تلفزيون CNN TÜRK أثناء محادثته مع الرئيس التركي رجب طيب اردوغان

من الجانب الآخر أوغل الرئيس التركي " رجب طيب أردوغان " تلفزيون CNN Türk في معادلة الصراع بظهوره "متحدثا مباشرة من تطبيق هاتف ذكي عبر شاشته يدعو الحشود إلى الخروج لحماية الديمقراطية.. كانت المقابلة الصحفية بمثابة وقود للمدنيين حفزتهم على النزول نحو الميادين وافشال عملية الانقلاب كما لو أن التلفاز أكبر من أن يكون مجرد جهاز، أداة أو وسيلة إعلام، إن تميزه بمستوى عال من العمومية الرسمية يشق للقوى السياسية والثقافية والاقتصادية من خلال التحكم في إشارة البث امتلاكها لـ "صك الشرعية " في حالات السلم والحرب والطوارئ، ولأن الأهمية الاستثنائية للتلفزيون تولد مبدأ الحاجة إليه تبرز سلطة " غرفة الأخبار " ودورها في بناء الشخصية الوطنية على نطاق واسع.

د – الكفاءة في مناقشة الحياة اليومية : إن التفسير الميكانيكي لإدارة قضايا النقاش العام الذي يأخذ بالعلل الآلية للمسائل دونما اعتبار لما تمارسه مهارات غرف الأخبار والبرامج الحوارية في التعامل مع البيانات والحجج يزيد من احتمالية السقوط في هفوة مقارنة التلفزيون بوسائط الاتصال وتطبيقاتها الحديثة، فالاستقصاء الصحفي ذو المعايير الأخلاقية ليس مجرد روتين يمارسه محررون أو قادة تحرير، بل يتطلب مهارات واستراتيجيات

لا يمكن بأي حال أن تؤدي إلى مناقشة قد تترك أحدا ما على قارعة الطريق كما يرفض " يورغن هابرماس Jürgen Habermas" فجمع الأخبار وتحليلها وظيفة وليست هواية كل من يمتلك لوحة رقمية أو هاتفا ذكيا، ومع التحولات الحديثة وانتقال المجتمع من اتصال الوسيلة إلى اتصال الرسالة صارت خوارزميات الإعلام البصري سريعة في تحديد تداعيات الأحداث اليومية على الرأي العام وقادرة على التمييز بين القصص المتقادمة والحديثة وما مدى مواكبة كل مسألة أولويات الجمهور المحلي، فأخبار التلفزيون الذكي لا يمكن التلاعب بصحتها إذ أن أدوات التحقق المكتسبة من التقدم التقني تعد مؤثرا ثالثا في غرفة الأخبار يفترض لمديري النقاش تعويضها للوقت وتكلفة المعرفة كعرض البيانات وظروف القصة المدار حولها النقاش بتصوير الواقع المعزز، وفي حال تم اختبار المحتوى التلفزيوني على أنه واقع مؤلف فان التفاعل بين الشكل والمضمون سيكون له الحسم في تحديد أية درجة تكون عليها الحجة، بمعنى : **– العروض البصرية** : وهي تصوير الموضوع بما يماثله في الواقع بأسلوب يستجيب لحالته المباشرة , **– الحضور المادي** : الإدراك الحسي للموضوع خارج الاستديو أو غرفة الأخبار **– التوظيف التلفزيوني** : تقوم عليه المحاججة بواسطة جعل المهتمين بالقضية قائمين على إثارة النقاش بمستويات عالية من المسؤولية العامة.

من فلسفة التواصل إلى فلسفة الوعي يتجاوز التلفزيون عبر المناقشات النسقية الأحداث وينتشلها من اللغة والكلمات التي تؤدي بها إلى برهنة خطية مباشرة نحو تواصل نقدي يتداول في سياقه المتحدثون الخطابة التي تحمل إلى الإقرار بالحق [6]، لم يجعل الفيلسوف " ابن سينا " من صناعة الخطابة كما هو معروف منطقا سوى أنها لا تستقيم مع الأهواء والميولات مثلما أنها لا تتعارض مع التعددية وأعراف الطبيعة الأساسية للفضاء السيبيراني الجديد، فضلا عن ذلك فإن إعطاء الدور الأول للتلفزيون في متابعة الولاء الوطني للدولة الحديثة نيابة عن الأمة يمنع الانقسام الاثني داخلها ويحقق تناميا للمجتمع المدني في بيئة تتجاوز الغاية الفردية واحتكار النظام، وإذ يتسم

[6] علي محفوظ، **فن الخطابة وإعداد الخطيب**، دار النصر للطباعة الإسلامية، ب ط، 1984، ص16

الخطاب التلفزيوني بتبرير كل شيء فانه يصبح قادرا على أن يقدم بديلا عن الجماعة السياسية التي لا تضمن اندماج الأقليات بمفهوم ممارسة السيادة على الدولة بمجرد امتلاك الأقليات الحق في المشاركة وطرح مشاكل التعايش الديمقراطي باعتباره يتيح للأفراد الإفصاح عن الهوية بصفة أوسع داخل النقاش العمومي بحيث لا يمس جوهر الديمقراطية وعقلانيات التواصل والاستعمال العمومي للخطاب.

ثانيا : حديث المجتمع عن نفسه Society's Talk about itself

إن نقل ما يجري من نبض الحياة العامة وإتاحته بالمجان لمن لا يملكون فرص الوصول إلى حيز العرض أو الحدث أو من يفضلون البقاء في المنزل يقدم التلفزيون للعالم على انه نموذج عال من التذاوت الاجتماعي خاصة عندما يسمح لهؤلاء مقابل انغماسهم في المشاهدة من مخاطبة الجماهير في اللحظة المباشرة ، ومع اتساع شبكة المحررين العاملة في تحقيق الدقة وتقصي الصحة والالتزام بخطاب جوهره الانخراط في الفضاء العام الجدلي Critical Public Sphere ازدادت حاجة الناس إلى الميل نحو إتقان مهارات الحديث التلفزيوني حتى يثبت تفوقهم على السياسيين في الفعاليات الوطنية الهامة، ويمكنهم ذلك من بناء هوية اجتماعية عبر " ثقافة الاستديو " تؤثر في موازين صناعة النقاش، فما تعني هذه الثقافة؟

فرضت الاختبارات الوظيفية لكفاءة استديو التلفزيون إعادة دمجه داخل غرفة أخبار أكثر ذكاء وتفاعلا من أجل مهام جديدة تغذي مهارات القائمين بإدارة الفضاء بالتكنولوجيا الحديثة في التحليل والمعالجة والتصوير الغني بالحركة مع انخراط روبوتات تكلف بمهام تصنيف وترتيب وعرض البيانات وأخرى مسيرة دورها التقاط الصوت والصورة وإخراجهما، أدى هذا إلى اكتشاف الجماهير للخيال كواقع معزز بأبعاد تختلف تماما عن تداول الاستديو التقليدي للأخبار والمعرفة للتفوق على شكوك الوعي بالحدث إلى درجة إثارة السؤال : هل يمكن أن تكون هذه الحقيقة التي نشاهدها حقيقة بالفعل ؟

إن امتلاك ثقافة الاستديو هي الاندماج في نظام معرفي مصطنع يحتمل اختصار عوالم افتراضية اكثر اتساعا من نطاق العقل المجرد، وهي فنون ملء الفراغ بتوصيل إيحائي في مجال محدد من خلال التحول في أشكال التواصل البصرية والمنطوقة، وبقراءة فلسفية يقدم هذا التطور السياسة الترويجية للتلفزيون على أنها أكثر تعلقا بكونية " مارتن هيدغر Martin Heidegger " الزمانية وامبريقية " إيمانويل كانط Immanuel Kant " العقلانية، وفي الحقيقة غالبا ما تنمو ثقافة الاستديو لدى المجتمعات التي تمتلك

اقتصادا يتسم بالطابع التسويقي يقدم التمويل للمحطات التلفزيونية على نقيض المجتمعات التي تضع فيها السلطة الوطنية يدها على المؤسسات الإعلامية، وفي الوقت ذاته توجه هذه المقاربة إلى فكرة " تفويض المواطنين للتلفزيون "، إذ تكاد البرامج الأكثر ذيوعا وشهرة في العالم تخلو من عمليات الترويج للأنظمة السياسية بما في ذلك النموذج الحكومي للتلفزيون، فالحوار بوصفه نشاطا عقلانيا هو من أدى بالضرورة إلى التقبل العام للبرنامج الأمريكي الحواري The Oprah Winfrey Show معنى ذلك أن إعادة تشكيل القصة الاجتماعية ونحن نتبادل الشعور بأننا إلى جانب مديرة الحوار " Oprah Gail Winfrey " وهي تتحدث إلى ضيف البرنامج يمنح انطباعا بتمثُّل الدور أو تقمصه، وبصفة أخرى يهيمن الجوهر الغائي من التفاعل مع ما يدور في شاشة التلفزيون على المسافة المختزلة بين المشاهدين وجلسة الحوار.

صورة شاشة – برنامج The Oprah Winfrey Show – 1992
توزيع الحديث بين جمهور الأستوديو

عام 1992 عرض البرنامج شائع الصيت قضية مواطن أمريكي أسود البشرة يدعى " رودني كينج Rodney King " تعرض للضرب المبرح من أفراد شرطة بيض في مدينة " لوس أنجلوس" وأدت الخطابات المناهضة للعنصرية إلى تأجيج الشارع مما نجم عنه حملة من أعمال الشغب للتعبير عن الاحتقان،[7] كثيرا ما يوصف تأثير التلفزيون بالساخن في ظروف المشاهدة الواقعية التي يتعرض فيها الجمهور إلى الأحداث المتأزمة أو العدوانية بالانتقاد، وبهذا المنظور الخاضع لتجربه " المراقب النشط " كسبت مقدمة البرنامج عواطف جمهور واسع رفع سقف تأييدها لـ " باراك أوباما Barack Obama " الرئيس الأمريكي السابق خلال حملته الانتخابية عام 2008 دون أن يبدي معجبوها انزعاجهم من

[7] Allan Stuart, **Media Talk Conversation Analysis and the Study of Broadcasting**, First Published, Open University Press, New York- USA, 2006, p44

ظهورها السياسي، وهي المفارقة .. فلطالما حلقت خيبات الثقة في سماء مؤسسات التلفزيون ووسائل الإعلام بمجرد اكتشاف الجماهير لأية علاقة لها مع الحكومات " تلك اللعنة التي تسبب الإحباط للمتفرج خوفا من التلاعب بالسياسة العامة " [8]

لا تشد أساليب ونماذج إدارة الحوار الجماهير لوحدها، فمشوار برنامج " أوبرا " لم يتحقق مع The Jerry Springer Show وهو برنامج حواري أقرب إلى حلبة يترك للضيوف على خشبته حرية المواجهة والتنابز بتراشق الألفاظ النابية أو الاندفاع الجسدي، ويأخذ الجمهور داخل مسرح التصوير دور " الهوليغانز " في إثارة الضيوف بشكل متعمد وتغذية " الصدام " بينهم، وهو ما لم يجده جمهور الولايات المتحدة الأمريكية مسليا مع أن المحافظة على حضور أفراد منه لعب دورا قويا في تجربة الدراما الاجتماعية.

صورة شاشة – برنامج The Jerry Springer Show
مشاجرة الضيوف

إن استجابة التلفزيون لاستيعاب الحياة العامة بصفة غير تقليدية أبرزت الحاجة إلى " محاكمة وفحص وانتقاء القضايا قبل عرضها " في الفضاء التلفزيوني وفحصها في حال كانت ردود الفعل المتوقعة مستفزة وساخنة، عنيفة أو منافية للفضيلة، وقد برزت العديد من قضايا التحيز الجنسي والتزييف والعنصرية في البرامج الحوارية التي تستهدف إنتاج " ردة الفعل " بدأت بكشف الآثار المترتبة عن خداع المشاهدين التي

[8] Elisabeth Braw, **Citizen alienation and the political and media elite**, Reuters Institute Study Journalism Working Paper,2004, p18

عادة ما تحدث تمزقا في روابط وسائل الإعلام بالمجتمع أخطر مما يفعله رجال السياسة، وتحاصر المنتجين بانتقادات الرأي العام حتى تضعف لدى العموم ادراك ما يبث من الحقيقة.[9]

ومثلما تنتقد " بيبا نوريس Pippa Norris " الاحتكار التلفزيوني للخدمة العامة فهي ترى أن إعادة توجيه تهمة العلل التقليدية للصحافة وجائحة شيطنة وسائل الإعلام في وجه التلفزيون فكرة غير ملتزمة تماما مثل وهم الركض نحو وسائل الإعلام الجديدة للتعبئة السياسية الذي تصفه بالخدعة، فبتدفق المحتوى المتنوع والحاجات المرتبة نحو إجراء عمليات البحث للوصول إلى المعلومة المقتضبة والسريعة باستخدام الهواتف الذكية والكمبيوتر لم يكن لشبكة الأنترنت أي تميز في مناشدة الناس الانخراط في الحياة العامة[10] وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار المقارنة بين مختلف نماذج الخدمة الملقاة على عاتق هيئات التلفزيون نخلص إلى تحديد محاذير اغتراب الجمهور على النحو : حصر جماعات الصراع في محاور نقاش ثانوية لا يتأثر بها الحديث المركزي – التمييز في الانتقال من الخلفيات الرمزية والتاريخية إلى سياق تقديم الحجج بين السؤال والافتراضات العرضية للمتحدثين – الانطلاق من البعد الاجتماعي للتلفزيون كرأس مال للتجرد من المحاباة والاضطراب في الحيادية – الاستقلال عن الضغوط السياسية والأيديولوجية والوعي بقيم المجتمع المفصلية في تحديد أشكال التعبير الملائمة لخصوصية الجماعة – ضمان ديمقراطية تداولية للرأي العام الموازي للحق في النزعة الفردية.

ترتبط عوالم التلفزيون الثلاثة " المتعة، المعرفة، التأثير " بحركة ثنائية اللغة والاعتراف بالحقيقة بشكل مستقل عن الجغرافيا والكيانات الثابتة التي يؤثر امتدادها في أن يكون الأشخاص مختلفين، وتؤدي بهم الحدود إلى الذاتية لا التوافق مثلما يكون المهاجر في غير موطنه، فينظر إلى " تعويم التلفزيون " في النظام

[9] Paddy Scannel, **Media and Communication**, Op.cit ,p 192
[10] Pippa Norris, **A Virtuous Circle**, Second edition, Cambridge University Press, USA, 2000, p283

الإعلامي الجديد المستمر مع سياقات جديدة أكثر دقة ومهارة على أنه غالبا ما يحرف المشاهدين نحو خليط من حالات المعرفة والسلوك يستميلهم ذلك وراء المنبهرين بهم فيقلدون الأنماط المسوقة من الحياة الظاهرة أو الأدوار التي يلعبونها، وهو ذات مبدأ حتمية التأثير الترويجي للسلع والخدمات بافتراض أننا نستخدم نفس مخطط الاستجابة " التعرض والإدراك – التأمل والتجلي – الامتثال " بأشكال معاصرة من نفوذ وسطوة صناعة تستثمر في " ثقافة المعجبين " التي باتت حاسمة في الحياة السياسية المعاصرة يبرز اثرها في إثارة تحيّز الجمهور، إذ تعمد جماعات الشتات كاللفيف الإسرائيلي إلى التعامل مع احتمالات هذا المبدأ الاستراتيجي برواية الشك واستحضار كل البدائل البصرية المخادعة للحقيقة ومن ذلك إعادة صناعة رواية موقعة اغتيال الطفل " محمد الدرة " في انتفاضة الألفية التي بثت على القناة الفرنسية الثانية France 2 واستولت على اهتمام العالم، قصة تقرير " تشارلز أندرلين Charles Enderlin " التي تناقلتها الشبكات الإعلامية الدولية بلغات متعددة وصاحبها نقاش محتدم كان أول ضحاياه سمعة العسكر المحتل، فيما ذهبت هيئة الشؤون الاستراتيجية الإسرائيلية إلى الطعن في جزئيات الشريط المعروض والعناصر الفنية المتعلقة بالتغطية، ولم يركز خطاب التكذيب على أسلوب " تحليل المحتوى " بل " إعادة الصياغة " بعد أن انهارت إسرائيل أمام محكمة الرأي العام الدولي ولم تشفع الروايات في تبرئة الفعل من النزعة الإجرامية، وخلصت في عام 2013 مع فشل محاولات التبرير الباردة على التلفزيونات المنحازة للرواية الفرنسية إلى تعزيز التعاطف بإصدار تقرير تضمن الاختبارات الطبية على جثة الشهيد، كما أدارت جدلا بشأن مقاربة " معاداة السامية "

صورة شاشة – فيديو يعيد بناء وقائع استشهاد الطفل " محمد الدرة " برسم معالم جثته لفبركة التقرير الفرنسي

وأخلاقيات مهنة الصحافة على نحو من التضليل .. وهو ما ينجر وراءه التسارع لإحراز السبق الصحفي،[11] هذا وفقا لما روج له السند الإسرائيلي.

من الواضح أن قوة التلفزيون ودوره المركزي في زمن الحروب والأزمات تستدعي التأكيد على الفارق بين المصلحة الإعلامية كطبيعة تقنية دائمة الارتباط بالعلم التطبيقي تدرك مسالك التطور الاجتماعي وكأيديولوجية أخلاقية تحمي الأنظمة التي تعيش فيها وتفسر الأحداث والوقائع بعلة "الغاية تبرر الوسيلة" هناك بالطبع في دراسات وسائل الإعلام الخلفيات الفكرية لتقدير احتياج الأمم للتلفزيون تحدد المبادئ الأساسية لإعادة " تدوير الحياة اليومية " ويتقدم علم الاجتماع المجالات الأخرى في توضيح الجزء الأهم في إعادة صناعة الواقع مثلما يفترض "ريموند ويليامس Raymond Williams " في تفسيره لمقولة " المجتمع هو نموذج اتصالي " أن التواصل هو النشاط المباشر للوصول إلى الحقيقة والسياق نفسه لإعادة صناعة الواقع بشكل مستمر، وهذا ما اسنده المؤلفان " جيمس كورن James Curran " و " دافيد مورلي David Morley " في كتاب " وسائل الإعلام والنظريات الثقافية"[12] لتبرير الوعي بخصوص التأثير الذي تحدثه وسائل الإعلام.

إن برمجة التلفزيون على قيادة المجتمعات يعتمد أساسا على الانتظام في تزويد الناس بالمعلومات والمعرفة وتعزيز التعبير عن الهوية الخاصة، ملاءمة الحياة اليومية مع السياق الاجتماعي والمشاعر الشعبية، وأخيرا التعامل مع تناقضات وتعقيدات الفضاء العمومي بترشيد الحق في التحدث ورفض تجاهل الأقليات والجماعات الفرعية داخل المجتمع، فلا مصلحة للمواطنين عند مساهمتهم في الحوار سوى كسب التوافق العام وتغذية العملية الديمقراطية، وحتى لا تنفصل الوظائف المجتمعية عن المعاني يحفز " الفعل التواصلي

[11] " **The France 2 Al-Durrah Report its Consequences and Implications** ", Report of the Ministry of International Affairs and Strategy of Israel, 19 May 2013, p18

[12] James Curran and David Morley, **Media & Cultural Theory**, First Published, by Routledge, USA and Canada, 2006, p21

البصري " الالتزام في سياق التفاعل باحتمال أن يحصل كل فرد مقابل النقاش على ضمانات بتجاوز جميع المشاركين فيه أن يكونوا في حالة " تمثيل " أو " نوم " أو " سُكرٍ " أو " اختلال عقلي " بل على مقدرة من الوعي بذواتهم، كذلك يفسر الفعل الاجتماعي على أنه يتجاوز المراوغة في وصف فلاسفة المجلد الأول من نظريات المجتمع.[13] ودائما يكون محتملا أن قراءة الجمهور للمضمون التلفزيوني المختص لا تفرض الوصول إلى الكفاءة العلمية المتخصصة فالأشخاص الذين لا يملكون تكوينا تحفزهم البديهية على الاستكشاف النوعي مع كل ذلك التبسيط والوضوح الذي يتسم به الخطاب التلفزيوني المختلف عن لسان الراديو الكفيفة ورواية الصحافة الورقية الباردة وعالم الأنترنت الشبيه بالكافتيريا.

[13] Talcott Parsons,Edward Shils,Kaspar D. Naegele,Jesse R. Pitts, **Theories of Society**, V01, Edition not mentioned, The free Press of Glencoe INC, New York USA, 1961, p21

ثالثا: أداة الديمقراطية في عصر التلاعب بالجماهير :

Democracy Tool in the Mass Manipulation Era

بداية كانت استقلالية الجمهور في قراءة المحتوى الإعلامي نسبية كون أن حداثة عهد التلفزيون بتقاليد الليبرالية تعارضت مع الثقافة الشعبية المفرطة على نحو يتماشى مع ثقة الفرد في بيئته بتفوق " العقد الاجتماعي " على " مجتمع الحريات "، ولم تبدأ مظاهر المعارضة إلا مع استهداف الرقابة الاجتماعية والأخلاقية .. الإيديولوجيات والسياسية، يمكن القول أيضا أن إلقاء اللوم على تقارب السرد التلفزيوني مع التمثيليات الدرامية العاطفية آنذاك أدى إلى تداول الملذات داخل المجتمع واستقبال الهيمنة الثقافية ثم إعادة توزيعها وتقاسم " وقت الذروة " مع المعلنين، .. أما المسلسلات والأفلام والجريدة المتلفزة على وجه الخصوص فلم تتجاوز حدود تنشيط الثقافة الفرعية ولم يحصل المشاهدون سوى على نصف القصة لأنهم لم يتمكنوا من المشاركة أو التحقق من نصفها المتبقي.

امتدت الديمقراطية في الفضاء البصري مع نهاية مرحلة سلطة الذوق وتفوق المجتمع الصناعي في حل عقدة قيود الإحساس بالحضور بعد نهاية الحرب العالمية الثانية واتجاه العالم إلى ترسيم الحقوق الإنسانية المشتركة والاعتراف بالمساواة وحرية التعبير، وقد ساهمت ظروف نشأة الدولة القومية في أوروبا وأمريكا برعاية اتفاقات التمويل والانسجام مع مصلحة النظام العام في ابرزا مؤسسات الإعلام كمسارح تمارس على خشبتها الحريات وظلت تعلن الحكومات الدساتير لحمايتها ومكافئة مشاركة قيم المسؤولية الاجتماعية.

من المهم التأكيد أن طقوس السيطرة على تدفق المعلومات لم تكن محل تفاوض يفسر ذلك اقتباس " دافيد مورلي David Morley " من " باتيمن تريفور Pateman Trevor " قائلا " نحن لا نملك تغطية تلفزيونية للانتخابات، بل لدينا انتخابات تلفزيونية "[14] تلميحا إلى تزوير المشاركة في الديمقراطية

[14] David Morley, **Television Audiences and Cultural Studies**, First edition, by Routledge, USA and Canada, 1992, p 274

عندما تكون الديمقراطية عنوانا فقط ويمارس النفوذ السياسي بشكل رسمي، وقد دفع هذا النوع من التهديدات لإثارة أزمات ومواجهات حول العالم كانت ذريعة كافية لتشكيل كيانات إعلامية جديدة ساعدها الانفجار الهائل لتكنولوجيا البث الرقمي، ..دخل التلفزيون في ثالث مرحلة حاسمة نفضل أن نطلق عليها " التفويض الديمقراطي " متجها بعيدا عن إنتاج الاختلافات إلى تغطية الشؤون الدولية والتركيز على العمل في مناطق النزاع والحرب حيث يكون نقل الأحداث مكلفا للمراسلين ويكشف سقف الحرية ذلك عن التحذير من الوصول إلى الحقائق غير المصرح به.

ويؤدي التلفزيون دورا مهما في موازنة الاتصال السياسي بالخصوصية الأيديولوجية للأمة عبر خمسة محاور رئيسية أولها – تماسك الفضاءين الخاص والعمومي القومي من خلال الاستجابة للقواسم المشتركة ذات التقاليد الوطنية، ثانيا – إضعاف فرص الاستبداد السرية بإزالة حدود التواصل التقليدية الفاصلة بين الشفافية والمساءلة المعززة للسلوك النقدي، وثالثا– التحليل التعاوني للخطاب السياسي وهو تزويد المواطنين بالأدوات الاستدلالية المنطقية اللازمة لتفسير ما يتلقونه والتمكن الفعلي من المشاركة في المناقشات العامة رابعا – فحص قيود البيئة المحلية المتجاهلة لمواثيق الديمقراطية وتحسين المعرفة النقدية بحشد الوعي حول ما يجري في سيناريو الأحداث للوصول إلى تناول ما وراء المحتوى المرئي، خامسا – مشاركة الظل.. وهي أبرز وحدات الموازنة كونها تفرض التصاق الإيديولوجيات الفرعية الثقافية والاجتماعية بالحياة السياسية من خلال تعويض التلفزيون للمؤسسات القانونية المفترض بها إجراء هذا التوافق وهذا الدور.

تحاكي التمثلات الفردانية للآراء في بيئة التواصل الافتراضية غرائز الانقسام والخصوصية بالتنكر وراء الانسجام مع خطاب العولمة واستنفاذ منافسة المجتمع بالإفلات من الإعلام العمومي، ولقد رأت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة في مراهنة استمرار الحاجة إلى المرفق العام للتلفزيون أن تحقيق الديمقراطية والمساواة هو من يبرر ضرورة مواجهة تجزء المجتمع المنبهر بوسائط الإعلام الرقمية، وشمل توجه المنظمة

أطروحة " ولتن دومينيك Wolton Dominique " القائل " *سيكون على وسائل الإعلام العامة ذات الرسالة الشاملة أن تؤدي غدا، في عالم متعدد الوسائط ومتفاعل ومكتظ بالشبكات، دورا أكثر أهمية من الأمس، إذ ستكون إحدى الروابط الوحيدة الباقية في مجتمع يقوم على الانفرادية الشاملة، والتلفزة العامة تحيل إلى هذا الهدف: الاستمرار في تشاطر شيء مشترك في مجتمع يتسم بشدة تراتب شرائحه وانعزال أفراده* " [15] ولعل الوصول إلى ثقافة ديمقراطية قائمة على التوافق والتنوع يفترض بالفعل منظورا انتقاليا يتبنى تقديم تنازلات عقلانية وتسويات متبادلة ومفاوضات تتعامل مع انحياز النخب السياسية على أنها " عصب " لا يمكن تحاشيه في أجندة الحوار عندما يؤدي التلفزيون بنا إلى مناظرته بطائفة سياسية أخرى وتحديد اتجاه كل واحد منهما بوضوح.

بالحديث عن العصب فإنه أكثر ما تبرز في ضوئها الاتجاهات السياسية للتلفزيون أوقات ذروة مرحلة الانتقال الديمقراطي، ولعل " القصة السياسية " بوصفها رواية سيميوإيديولوجية هي مرجعية المقالة الافتتاحية للهيئة التلفزيونية تنشأ لمجاراة الأحداث السياسية ووظيفتها إلهام الرأي العام ورسم سحابة نقدية في الفضاء الخاص والحياة اليومية، هذا التراكم من العمل التواصلي يحدد اللحظة التفسيرية الأكثر بلاغة ويظهر من بين أكثر القصص السياسية الطموحة للدولة القومية استهلاكا في الفضاء التلفزيوني منذ التسعينيات " الاتحاد الأوروبي " التي أدت إلى تبني أكثر من طرح حول قضية " ما بعد الأمة " وارتكزت في بناء النقاش العمومي على مشروع الإصلاح السياسي المتجاوز للحدود الجغرافية وكذا الاحتياجات الجماعية .. حرية التنقل والتبادل الثقافي والاقتصادي، في عام 2015 واجه مشروع أوروبا الموحدة تحديا مع بدأ مفاوضات انسحاب المملكة المتحدة البريطانية وإيرلندا الشمالية والتي شكلت نموذجا ديمقراطيا آخر بالنسبة لتلفزيون هيئة الإذاعة البريطانية حيث أخذت شبكة " بي بي سي BBC " مسؤولية إشراك مواطني المملكة في دعم الإرادة السياسية بمجادلة تلك الظروف والعوائق المرجعية في اللجوء إلى ترك الاتحاد

[15] " **الهيئات العامة للإذاعة والتلفزيون لماذا ؟ وكيف ؟** " تقرير صادر عن المجلس العالمي للإذاعة والتلفزيون – اليونسكو، 2001، ص26

وقد بثت الشبكة أطول القصص السياسية على مدار مراحل من السنوات من أجل بناء فكرة العودة إلى هوية الدولة على أساس ديمقراطي يعترف بالفضاء العمومي ضمن مؤسسات تلبية الاحتياجات وتوسيع الحقوق المرتبطة بالحرية والتنمية، نجحت بذلك بريطانيا بتمكين التلفزيون من تعقب " البريكست Brexit " في تحقيق التفوق لديمقراطية صحية تجاوزت ما كانت عليه BBC خمسينيات القرن الماضي من هيمنة خدمة ملتصقة مع الحكم،[16] استعار تلفزيون " سي آن آن CNN " في تغطيته للحرب الأولى على العراق 1991 الوعد الأمريكي " لن تكون هناك فيتنام أخرى " لوسم تحكم إدارة الرئيس بوش في عملية " عاصفة الصحراء " على نحو تعامل معه الجمهور الأمريكي كقصة مجازية لغزو حميمي، فلقد كان المراسل " بيرنارد شاو Bernard Shaw " ينقل مباشرة تفاصيل الغارات الجوية الكثيفة وهو يقول " إنها تمطر بغزارة من السماء "[17].

ازدحمت دراسات الإعلام باختبارات التدقيق وإعادة بناء مبادئ أخلاقيات صحافة الشبكة العنكبوتية وأدوات التحقق من الأخبار الكاذبة Fake News، واقتضى تحري وتتبع المحتوى الرقمي بمؤسسات الإعلام إعداد فرق مهمتها وضع علامة " أخبار موثوقة " على سائر ما ينشر، تعرضت واحدة من دراسات الألوان الحديثة المعنونة "الأخبار المزيفة على تويتر خلال الانتخابات الرئاسية الأمريكية 2016" إلى سلوك مشاركة عينة من الناخبين لمحتوى كاذب من مصادر مضللة بنسبة 80 في المائة توقعت أن يؤثر على الاتجاهات السياسية للمواطنين ويساهم في احتمالية الانتشار الواسع لعقدة استهلاك الفبركة.[18]وانتقل التوجس من لعبة الأخبار الكاذبة إلى انتخابات " البوندستاغ الألماني Deutscher Bundestag " عام

[16] David Ward, **The European Union Democratic Deficit and the Public Sphere**, Edition not mentioned, Amesterdam Netherlandan, 2002, p35
[17] Susan Jeffords and Lauren Rabinovitz, **Seeing Through the media The Persian Gulf War**, Edition not mentioned, Library of Congress Cataloging-in-Publication Data,USA 1994, p64
[16] " **Measuring Fake News - Die methode** " by stiftung neue verantwortung e.V, Berlin, December 2017, p03

2017 وهو ما كشفت عنه دراسة تحليلية ساخنة أخرى حسمت أن تكون وسائل التواصل الاجتماعي الوحدة المركزية لزحف مؤثرين متنكرين ليس من السهل سحقهم في فضاء غير معد جيدا للديمقراطية مستشهدة بصرخة مؤسسة المسؤولية الجديدة " الأخبار المظلة في كل مكان " [19].

" لقد حان وقت الحقيقة .. " على أي برنامج يُتوقع اختيار هذا العنوان ؟ وهل بات التلفزيون جهازا للكشف عن الكذب ؟ إن إتهام منصات التواصل الاجتماعي ووسائل الاتصال الإلكترونية والصحافة الجديدة بالتضليل ازداد على نحو لافت ومقلق، وبدأت آمال " الديمقراطية الإلكترونية " الطفل المدلل للمجتمعات الديمقراطية الحديثة تتلاشى،[20]في المقابل اتجه التلفزيون " وسيلة الإعلام المتأنية " إلى تقويض اضطرابات استخدام الأخبار الكاذبة كسلاح سياسي لاسيما مع انخفاض معدلات الدقة والمصداقية في الفضاء السيبيراني، وانتبه وعي قادة غرف التحرير مع سرعة شيوع الأخبار المنفقة وتأثيرها على مواقف وسلوك الأفراد إلى أهمية بذل جهود مضادة لسلوك التلاعب بالمحتوى حيث لم تعد تقتصر الانتهاكات على أطراف أو جماعات بشرية معلومة أو مجهولة بل حفز التقدم التكنولوجي إلى إطلاق روبوتات خوارزمية أو ما بات يطلق عليه " الذباب الإلكتروني " تقوم بذات الدور بشكل أكثر فعالية وعلى نهج واسع.

[20] James Bohman, "**Expanding dialogue: The Internet, the public sphere and prospects for transnational democracy** " the Sociological Review, Vol52, Issue01, 2004, p132

يمكننا أن نقترب أكثر في وصف هذا الخيار الحتمي إذا ما أشرنا إلى بعض النماذج من البرامج التلفزيونية في مجال التحكم بتوجيه الجمهور ونذكر " حقيقة أم فبركة " على قناة فرانس France 24 يساعد الجمهور على إفشال محاولات الإيقاع به والسيطرة على إدراكه للسياق الحقيقي للأخبار والوقائع من خلال ثلاث أدوات

صورة شاشة – برنامج " حقيقة ام فبركة " قناة فرانس 24

هي /

أ- إيضاح البيئة المحيطة بالموضوع المفتوح أمام اختبار الصدق، ب- تعقب مصدر التضليل وكشفه وأخيرا: الاستقرار على الحقيقة وتلقين الجمهور أدوات كشفها وطريق سبرها.

"مرحبا بكم إلى بروباغندا أولى فقرات برنامجنا حيث نفند الأخبار التي نعتقد أن وراءها دوافع سياسية" بهذه المقدمة يفتتح مقدم برنامج "بوليغراف" على قناة التلفزيون

صورة شاشة – برنامج " بوليغراف " قناة التلفزيون العربي

العربي Alaraby TV مطاردته للفبركة والشائعات بالتعليق على البواعث الأيديولوجية والثقافية والسياسية المحيطة بها، وفي أزمة تلويث دورة تدفق المعلومة يظهر التحامل على العلاقة بين المواطنين والعملية

السياسية، بحيث يستهدف إضعاف المضمون الإعلامي وركنه إلى التدقيق بشكل متكرر تدهور العقيدة النقدية ودحرجتها إلى السطحية كأن تنشط النخب السياسية في إرشاد وسائل الإعلام صوب تلك التلفيقات إلى درجة أن تتحول إلى أجندة سياسية، ولا يمكن الاستفادة من رفع المستوى في سوق ديمقراطية محشو بالإثارة الإعلامية وأسباب الانشقاق المثالي عند إصابة الجماهير " بملل الثقة " الذي قد يطال المحتوى الموثوق.

استلمت عام 2008 " إيمي جودمان Amy Goodman " مقدمة البرنامج التلفزيوني المشترك "الديمقراطية الآن ! Democracy now " جائزة The Right Livelihood Award مقابل نجاحها في إحداث نموذج لإعلام مستقل عن التمويلات المالية المشبوهة أو التأثير الحكومي يعزز مشاركة الأصوات المستبعدة من النقاش العام والجهر بمواقفها بحرية،[21] هذا الاتجاه نحو ديمقراطية فورية عرّض صناع القرار في العالم إلى معضلة يمكن أن نطلق عليها " رهاب التلفزيون " فإذا كان المحتمل دوما أن ترفض الحكومات تفضيل الديمقراطية على دسائسها السياسية لا تخدم البرامج الحوارية بدون أدنى شك تعرية الأنظمة بإتاحة العبور السليم من ثقافة الاتصال السياسي إلى نظام جماهيري منافس رئيسي لكافة الفضاءات العمومية ذات العروض الديمقراطية المحدودة، لقد أحدث التلفزيون ثورة في تصور الجمهور كيف أصبحت الخدمة العمومية لوسائل الإعلام ووضعَ معاييرا جديدة للصحافة يواجه بها المواطنون العاديون الأخبار المغلوطة والقلق من خطر احتجاز حريتهم في التعبير والرأي مقابل تقويض الإفراط الدائم للساسة في فرض غطرستهم واحتلالهم للقرار.

[21] " **لمحة بمناسبة الجائزة المقدمة إلى إيمي جودمان** " من الموقع الرسمي لمنظمة غير حكومية Right Livelihood https://rightlivelihood.org/the-change-makers/find-a-laureate/amy-goodman/ أطلع عليه بتاريخ 15/ 06/ 2020

الفصل الثاني: سوسيوسيميائية الحجاج البصري

Sociosemiotics of Visual Argument

أولا: المناظرة

ثانيا: التلفزيون كامتداد للتغيير الاجتماعي

ثالثا: الاستجابة للإعلام الجديد

مدخل الفصل : تقوم السيميائية على مبدأ ملاحظة الطبيعة ومحاولة إدراك وفهم العالم من خلال سيرورة تمثُّل العلامة، يتفق " جون فيسك John Fiske " و " جون هارتلي John Hartley" على أننا نتواصل بكفاءة مع الصورة لأنها أكثر إلماما بالواقع[22]، ما أن حلت وسائل الإعلام محل الخبرة المباشرة للحياة الإنسانية حتى استحوذ نظام محكم من الرموز ومستويات التفاعل والإقناع على سلطة تأثير واسعة تجلت في الممارسات الثقافية والمواقف والقيم وغيرها، ..

بناء على ما يثيره هذا التداخل يمكن تحديد العلامات السيميائية للاتصال على أنها : الكلمات الأصوات والصور، الموضوع، الصور الذهنية، الأفكار والمفاهيم والأحاسيس، المحصلة في ثلاثية بيرس الشهيرة " الأيقونة Icon ، المؤشر Index، والرمز Symbol " تحتمل وسائل الإعلام أن تتداولها على مرحلتين: في الظاهرة الإعلامية " **التداول الوسائطي** " وتمظهرها لدى الجمهور " **التداول العام** ".[23]

يرى " حسن مصدق " محرر أبرز المؤلفات العربية المهتمة بالحراك النقدي في ألمانيا أن " .. *الاحتكام للمحاججة والبرهان من صنائع العقل ومميزاته اللذين يفضحان الأوهام المزيفة وكل أصناف الخداع المستشري في الإشهار السياسي والاقتصادي والتقني، ويستطيعان تعرية الذات من نرجسيتها وأنانيها وأوهامها: إنهما يكشفان أصول الرغائب والدوافع غير القابلة للإشباع ..إن تبادل الحجج واللجاج المصاحب لها منع لكل دغماءيه واتكالية ..* " ويضيف " .. *تعالج الفاعلية التواصلية الحقيقة بين الأفراد كسيرورة للبرهان والمحاججة من منطلق القضايا اللغوية المتبادلة بينهما، إذ لا يقر لها معنى إلا بتحققها* ***Verification*** *– وبالتالي لا تستقيم الحقيقة بدون تقديم البرهان عليها ..* " كما يعترف " حسن مصدق " لهابرماس تطويره لمفهوم الحقيقة واللغة متجاوزا أن تكون الأولى ديكارتية مقرونة بفرضية الوعي بالذات وأن تكون الثانية مجرد آلية رمزية، فالحقيقة التي يستجيب لها نقده هي مسؤولية

[22] John Fiske and John Hartley, **Reading Television**, Second edition, by Routledge, USA, 2003, p23
[23] Elliot Gaines, **Media Literacy and Semiotics**, First edition, by Palgrave Macmillan, USA, 2010 p29 -30

جماعية بمعني " التذاوت والمعقولية " واللغة شرطية التواصل بمعنى " التداولية والتفاعلية "[24]، وهنا على سبيل العلاقة الإبداعية في بناء المفهوم تأتي أطروحة المفكر الأمريكي " جون فيسك Johen Fiske " المتجادلة مع المقاربات الفكرية لسيرورة تحديد "ما التواصل ؟ " حيث يتصوره " تفاعلا رمزيا " وصناعة اجتماعية ويقدم في تحليله المقارن مدرستين تستكشف الأولى التواصل كعملية سلوكية تنشأ بين أطراف عبر وسائط وقنوات، ويهتم هذا المنهج بدراسة الفعل، بينما المدرسة الثانية فتميل إلى البحث في سيميائية التواصل التفاعلية ودلالاتها،[25] ولعل مجانسة تصور " يورغن هابرماس Jürgen Habermas " مع تقديرات فيسك يغذي نظريتنا " سوسيوسيميائية الحجاج " على اعتبار أن تحكيم حجاجية النقاش النقدي في السياق الاجتماعي للتواصل الرمزي ممكنة بالاعتراف أن إعادة بناء الحقيقة هو التزام ديمقراطي غير قابل للخصخصة الذاتية، ولهذا علاقة جوهرية بتلفزيون الفضاء العمومي كمشروع أو الفضاء العمومي التلفزيوني كمفهوم عند ملاءمته مع ثلاثة مستويات " النسق اللغوي، التواصلية الرمزية، النقاش النقدي العمومي " وهي ذات صلة بطرح نظرية الثقافة الجماهيرية نموذج التكامل الاجتماعي عبر وسائل الإعلام[26].

ما تلخصه لنا العديد من دراسات تأثير وسائل الاعلام عادة أن عمليات تفاعل خفية تحدث بينما ينشغل الجمهور بمشاهدة التلفاز، إنه من الضروري كشرط لسلامة الفرد في الحياة العمومية أن يدرك بصريا بيئته ولكن لغة المجال البصري في العالم الفينومينولوجي انطلاقا من الشعور بالواقع تفترض تغذية الاتصال بوظائف التشكيل السيميائي المشروطة بالمقدرة على استقبال ونقل المعرفة وتبريرها لا التفاعل القائم على ردود الفعل فحسب، ولأن جزءا كبيرا من تجربتنا في استيعاب العلاقة الشكلية والبنيوية بين العلامات البصرية ينطوي على تفسير عناصر الصورة لا يتوقف إنتاج المعنى بمناسبة تعليق أشكال التواصل التقليدية أو

---

[24] حسن مصدق، **يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقية التواصلية**، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، 2005، ص107.ص143.ص149

[25] John Fiske, **Introduction to Communication Studies**, Second edition, by Routledge, New York-USA, 1990, p19

[26] Jürgen Habermas, **Theorie des kommunikativen Handelns**, Band01, Second edition, Suhrkamp, Germany, 1981, p495

اندثارها، إذ يتعرض الأفراد للرسالة البصرية المركبة وهي : **الصوت** (فونيم، ضوضاء، موسيقى الاهتزازات اللفظية ..) + **العناصر المرئية** (ضوء، الإطار، صور، الألوان، النصوص والعلامات الخطية ..) + **الحركة** (البعد، الحامل، المحاكاة ..)، وأشكال من التمثّل البلاغي يفترض إعادة صناعة الواقع وتفاوض المجتمع حول المعاني بصفة مستمرة بدرجة أكثر إثارة للحواس والسلوك، من وجهة نظرنا تتداول الرسائل البصرية المركبة الحياة الاجتماعية بتجانس مع البنية النموذجية للحقيقة فقط عندما تنجح تقاليد المحاججة في السيطرة على أي جدال محتمل.

إن التلفزيون كصناعة رأي موثوق عابرة للأوطان يؤدي نظامه الأيقوني إلى بناء الإجماع وتجسيد " القومية الإعلامية " هو امتداد للديمقراطية الجماهيرية وفي مقدمة وسائل تداول الحريات والحق في التفكير النقدي لدرجة أنه اصبح خصما مستقلا للأنظمة المستبدة، يؤدي إلى حماية الحقيقة القابلة للتلاعب وإكراه الجميع ببراعة على تقديم الحجة بشأن الأفكار الدائر حولها الجدال من خلال اللغة بكل أنماطها وتراكيب رمزية عرفية متداولة، وبشكل غير معقد يتمتع الأفراد في البرامج الحوارية بإمكانية الوصول إلى العموم وينتقل بذلك الرأي من الدوائر الخاصة إلى العام وقد يتطور إلى رأي رسمي تتبناه الجماهير.[27] وضمن مجموعة أدوات سيميائية تقوم على " الهوية المرنة " يتحقق انطباع المشاهدين على أنهم وسط العالم الاجتماعي في برامج تلفزيون الواقع بشكل أساسي،[28] حيث ينظر إليه على أنه قوة من العواطف المتنوعة، وحتى تلك السخرية من البرامج الرديئة يعود التلفزيون نفسه إلى اختبارها بذات عوارض النقد، وهي فطرة تكشف عن حسن النية في التعايش مع مجتمع يهمين عليه التفكير النقدي لا يسمح بالدفاع عن وسائل الإعلام تحت طائل سيطرتها عليه، وربما تتكون ردود الأفعال العنيفة من النقاد فقط لأنهم لا يرون ويسمعون ما يريدون رؤيته وسماعه.

[27] Allan Stuart, **Media Talk Conversation Analysis and the Study of Broadcasting**, Op.cit, p44
[28] Nuria Lorenza-dus and Pilar Garces-Conejos Blitvich, **Real Talk : Reality Television and Discours Analysis in Action**, First edition, by Palgrave Macmillan, England, 2013, p27

تستدعي أدلجة العمومية الرمزية للتجربة البصرية بناء المعنى داخل دائرة التجربة الحسية، يمكن أن نوضح الوظيفة البلاغية للحجاج البصري التلفزيوني – الساخن – في مقابل أشكال الحجاج الأخرى – الباردة – من النهج الذي اتبعه " مارشال ماكلوهان Marshall McLuhan " وهو يقرأ السياق الرمزي للمناظرة التي جمعت كينيدي ونيكسون خلال الحملة الانتخابية لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية، مفترضا أن الإذاعة – كصورة صوتية – نقلت للجماهير من استرسال "ريتشارد نيكسون" في الحوار والإجابة على الأسئلة فكرة على أنه المتفوق بين المتحدثين، بينما ظهوره على الشاشة وهو مضطرب يتصبب عرقا أفضى إلى انطباعات سلبية لدى العدد الكبير من الأمريكيين ممن تابعوا المناظرة على التلفزيون على عكس "جون كينيدي" الذي التفت إليه الناخبون مقتنعين بأدائه من خلال لغة الحوار والجسد[29]. إن ما تصنعه مشاهدة التلفزيون من حجاج استنادا إلى واقعة دلالية مرتبط بثلاثة عناصر رئيسية هي :

الملمح الاجتماعي : الحقل الايديولوجي لموضوع المشاهدة.

البديهية الدلالية : هي استعمال ايديولوجيا الملمح الاجتماعي المرتبطة بالقيم والمعايير " الجمال، الخير الشر، العنف،.. " كفعل إيحائي لتمثيل الحجة في الظاهرة البصرية، بمعنى أكثر دقة هي الاستنتاجات الفورية المعللة لكل واقعة نملك فكرة بصرية عنها في نظام العلامات البصرية.

المتتالية : ويقصد بها المشهد أو القصة المصورة، التكوين أو التحرير الفيلمي أي تواتر الصور والعلامات البصرية.

[29] Marshall Mcluhan,**Understanding Media The Extension of Man**, First edition, Library of Congress Cataloging-in-Publication Data, USA, 1994,p299

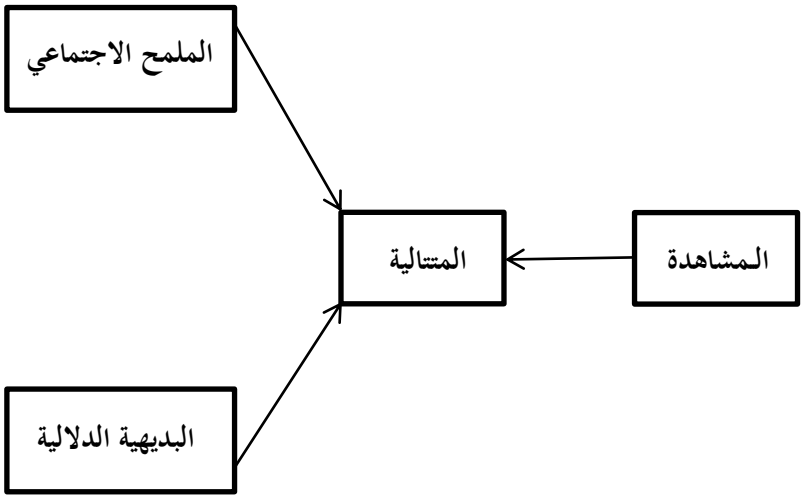

مخطط : الواقعة الدلالية

إن ما يميز الحجاج التلفزيوني هو احتمال الاستقلال عن تقاليد هجاء اللغة الشفهية، واصطناع طبيعة منفصلة عن الواقع في حين يمكنها أن تثبته، والنقاش بالنسبة للحجاج التلفزيوني معرّف بشرط الوحدة ولا تجُزأ مكوناته الصوتية والبصرية، بالإضافة إلى المحاكاة والمرونة، ترتبط الحواس بالمعنى الاجتماعي المتفاوض حوله بصرف النظر عن تطورها في الحقيقة كظواهر مجردة، وعلى العموم يفترض الناس فهمهم للواقع المدرك في الحياة اليومية غير أن الحجاج التلفزيوني يصور لهم " ما الواقع ؟ " بأسلوب فوري ومختصر يلعب خلال ذلك دورا حاسما في تشكيل " الشك واليقين " داخل الواقع نفسه، فالإعلانات التلفزيونية مليئة بهذا الزخم من البناء الإيحائي المنعكس بصفة مباشرة على ممارسات الحياة الواقعية، من وجهة نظر " إيلوت غينس Elliot Gaines " تؤدي حركية الإقناع السيميائية في هذا النوع من المحتوى إلى خلق الذوق والحاجة

وتنميط حياة الناس[30]، بينما يأتي الحجاج مع التحكم في المرتبة نفسها لصناعة الإقناع في المخطط الذي يطرحه " فيليب بغوتون Philippe Breton " بحيث يراه فعلا منهجيا بديلا عن العنف.

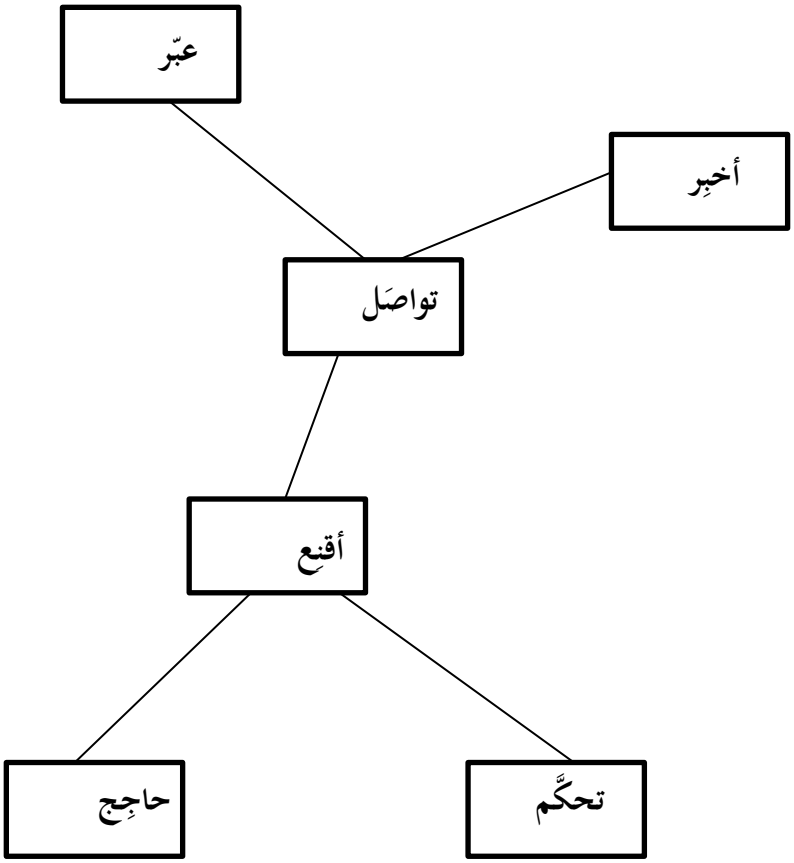

مخطط : سجلات التواصل[31]

تحيل زمكنية الصورة إلى العيش مع التلفزيون كما لو كان داخل الحياة اليومية بالفعل، تلك الرؤية الانتقالية لأشكال السرد والقصص التي دائما ما تكون الغاية منها اكتشاف الحقيقة باعتبارها مرغوبة تكمن في تفاصيلها أجزاء مطابقة للفضاء الوجودي، بل الصورة التلفزيونية هي الوجود وتمظهر العالم فالإدراك السمعي البصري لا يشمل استقراء الضوء واللون والأصوات فحسب بل كذلك الاستجابة لكافة المتغيرات الدلالية المصطنعة داخل الإطار الموحد للذات البشرية مع التلفزيون، والمتراكمة في " ما بعد

[30] Elliot Gaines, **Media Literacy and Semiotics**, Op.cit, p62
[31] Philippe Breton, **L'argumentation dans la communication**, Third edition, Editions La Decouverte, Paris, 2003, p02

الصورة " ونشير هنا إلى التحول الرمزي نحو الدينامية الاجتماعية،.. عادات الناس في اعتبار التلفزيون قطعة مثالية مستقلة عن أثاث المنزل في زاوية رئيسية من غرفة المعيشة – مركز المجال الخاص للأسرة – وهي ليست بالتأكيد تقاليدا ترتبط بالفعاليات البصرية التي ينقلها، إنما خلاف ذلك هو التمسرح والتثبيت الحجاجي البارع لفضائه العمومي في قلب الفضاء الخاص، ونفسر مما سبق ذكره " سوسيوسيميائية الحجاج البصري " على أنها نظام من المفاهيم والأدوات يستعان بها في فهم الإدراك البصري للرؤية العمومية — ما شاهده العموم – المتطلع للحقيقة المقترحة عبر – التلفزيون – وهي ذات خصائص عقلانية فيما يقابلها من الاجتماع المادي لا الخداع، الخيال أو الوهم.

تتجه معظم أبحاث الاتصال الجماهيري إلى التركيز على تتبع مؤشرات التأثير والاقناع والتوغل في تفسير أساليب التلاعب المتوقعة في المضامين الاعلامية وهو ما نعتبره أشبه بالاجتهادات التي استثمرت في قياس ملحمة " بيرل هاربر Pearl Harbor " على هجمات 11 أيول 2001 محاولة تقديم تحليل في سياق الايديولوجيا على حساب الصراعات الحقيقية بين الولايات المتحدة الأمريكية والارهاب، وقد اتصلت هذه الاستشهادات بشكل مباشر مع التحليل الاعلامي الذي صاحب موقعة انهيار الأبراج [32]، الحجاج ليس الاقناع ولا الخطابة، هو بناء تصورات والدفع بالشظايا الفكرية المتجانسة مع الأعراف السائدة أو يكفي أن لا تتصل بخطاب الكراهية على أن تكون قابلة لقياس صدقها ويترتب عن ذلك إشراك المشاهد في النقاش كما أنه يميل إلى تعزيز الاخلاق والسلوك المعرفي على عكس " التأثير " الذي مهمته على الأغلب حصد ردود الفعل والاجهاز على مشاعر الجماهير، ومن ناحية العلاقة بين المثال المقدم سلفا وتبريرنا يتضح أن الحجاج يتصل عند رواد الصرامة الأخلاقية لعصر التنوير من أمثال عمداء معهد البحوث الاجتماعية الألماني بالرفض الراسخ لمنهجية الايديولوجيا والأساطير " اللاعقلانية " الشاذة عن الحقيقة في تقديم بيان

[32] Darren Kelsey, **Media, Myth and Terrorism**, First edition, Palgrave Macmillan, London, 2015, p 51

غير منطقي,[33] إن ديالكتيك الحجاج التلفزيوني لا يعتمد على الذكاء التقليدي في عمليات إدارته للفعاليات بين الاطراف داخل الاستديو او عند تحضير تلك المواد المعدة خصيصا للوصول إلى خارج حدود البلاتوهات، بل يشترط الكثير من قواعد السلوك الكونية والمتابعة المنظمة للحوار الجدلي فضلا عن رسم الخطوط العريضة قبل إثارة أي من الافتراضات، كما انه يعكس ثقافة المؤسسة الصحفية وشخصيتها عندما يجمع بين الصورة والصوت والحركة الجدلية بشكل يتلقاه العقل العمومي لمواكبة الحق في التواصل النقدي.

[33] Alfred Schmidt, Gunzelin Schmid Noerr, **Max Horkheimer Gesammelte Schriften Dialektik der Aufklarung und Schriften 1940 - 1950**, Fischer Verlag GmbH, Germany Frankfurt, **1987**, p 22

أولا : المناظرة **Debat**

" جادل كما تستطيع ..ولكن اطّلع " ايمانويل كانط Immanuel Kant

ظهرت البرامج الحوارية ستينيات القرن العشرين في وقت أجمل الإنتاج تركيزه على الأخبار والدراما ومن خلال تجاوزها لأسلوب الصحافة التقليدية ازداد الاهتمام بتقديم البرامج السياسية على وجه الخصوص عبرها، في منتصف الثمانينيات استقطب برنامج Larry King Live الذي استمر لربع قرن (1985 – 2010) على شاشة CNN شهرة عالمية مع الدور الجديد الذي منحه للجماهير بحرية مساءلة القادة السياسيين والمشاهير عبر المكالمة الهاتفية المباشرة، انعكس هذا على ارتفاع بورصة البرامج الحوارية المتلفزة، كما قد شهدت بعض العروض الحوارية تجاوزات في ضوء القضايا المناقشة بحيث دفع استغلال الحوار في تناول جدل يتجاوز حدود الخلق العام إلى دفع منشطي هذا النوع من المحتوى نحو محاكمات الجماهير ومقصلات النقاد.

صورة شاشة – برنامج Larry King Live – قناة CNN
حوار تفاعلي مباشر مع الرئيس الامريكي بيل كلينتون Bill Clinton

يضع " برنارد تيمبرغ Bernard Timberg " ثلاثة مبادئ أساسية للبرنامج الحواري:

أ – أن يقع على عاتق فريق مضيف أو فرد واحد يتمتع بالمسؤولية في توجيه الحوار وقوة الشخصية. **ب** – مزامنة العرض وموضوع الحوار مع أحداث الساعة، **ج**– البرامج الحوارية صناعة يؤخذ فيها عنصر منافسة

باقي البرامج بالاعتبار[34]، ويتفق كل من " صونيا ليفينغسترون Sonia Livingstone "و" بيتر لونت Peter Lunt " على أن المناظرة التلفزيونية والعروض التي يستمتع فيها الناس جميعهم وعلى اختلافهم الطبقي بالمشاركة والنقد بواقعية كافية لمناقشة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة هي نموذج لحوار ما بين الأجيال، ولكن قبل رسوهما على هذا التعريف المختصر يسألان بوجاهة وأهمية في مستهل الكتاب المشترك "Talk on Télévision " هل المناظرة وبرامج التحليل والمحاججة النقدية شكل جديد من الفضاء العمومي ؟ " [35]

اصطلحت منظمة BBC Media Action في دراسة حالة "كيف تؤثر البرامج الحوارية في المشاركة السياسية ؟ " بمجموعة من المفاهيم النظرية والتطبيقية المتداخلة مع " المناظرة " منها :

المنتدى التداولي Deliberative Forum : مكان أو حدث منظم من أجل التداولية، النقاش أو المناظرة.

نماذج وسائط الحوار Dialogic Media Formats : برامج التلفزيون والراديو التي تعرض الآراء المتعددة والمختلفة للجمهور وتمنحهم فرصة المشاركة، الحديث والحوار .

المشاركة المسهبة Discursive Participation : حديث المواطنين أمام الملأ حول القضايا التي يتأثر بها المجتمع، الدولة أو الأمة التي يعيشون فيها.

[34] Bernard M. Timberg, **Television Talk A History of the TV Talk Show**, Second edition, University of Texas Press,USA, 2004, p01, p03
[35] Sonia Livingstone and Peter Lunt, **Talk on Television Audience Participation and Public Debat**, First edition, by Routledge, London, 1994, p01

التداول الوسائطي Mediated Deliberation : هي نموذج من المداولة العامة تتحقق عندما تتوسط وسائل الإعلام بين الجمهور العام والجماعات السياسية .[36]

ارتكز اهتمام الدراسة على الفعالية السياسية للمداولة العمومية للنقاش مع الافتراض في سياق إثارة المواقف الفردية كتعزيز أن تمكين المواطنين وعلى وجه الخصوص الفئات المهمشة من الحوار العام وإتاحة متابعة ذلك للجمهور في المنزل والمقهى وحيثما توجد شاشات التلفاز يزيد من دمقرطة الحياة العامة والتأثير في السياسات الجماعية، وإلى جانب هذا الطرح تثير دراسات عديدة تحليلية ودراسات مقارنة ودراسات النظرية الوظيفية، المعرفية والسلوكية وأخرى نقدية في أمريكا وأوروبا، مقاربة الارتباطات الإيديولوجية للمناظرة مع تشكيل الرأي العام والتأثير فيه، في حالة وجهة نظر " ناك انستيد Nik Anstead " يظهر تصور " عولمة المناظرة " من خلال الأمركة التي تعرض لها الجمهور في ألمانيا – انتخابات البرلمان " البوندستاغ Bundestag " عام 2002، حيث استضافت مناظرة قادة حزبين واستبعدت باقي الكتل، أفضى ذلك إلى جدال واسع وسط جمهور التيارات المنافسة،[37] وحتى تلك الاجتهادات على سبيل افتراض أن المناظرات لا تحرك في خيارات الناخبين اعترفت أنها أكثر معززات التأثير كما هو الحال بالنسبة للبحث الذي أجراه كل من " كارولين لوبنيك Caroline le Pennec " و " فينسنت بونس Vincent Pons " عن الحملات الانتخابية والتصويت حيث خلصا إلى أن المناظرات التلفزيونية كتمرين

[36] " **How do Political Debate Programmes Influence Political Participation**? " ، A Case Study From Nepal Report of BBC Media Action media action، by Chris Larkin and Rhian Were، September 2013، p02

[37] Nik Anstead، **A different Beast ? Televised Election Debates in Parliamentary Democracies**، The International Journal of Press/Politics، 2016، p15

يختبر المرشحين بإخضاعهم إلى نفس الأسئلة وامتحان لقدرتهم على الاستجابة لأسئلة غير متوقعة يجذب الجماهير وقد تتدخل في حسم النتائج الانتخابية ولو بشكل غير صارم أو محتمل[38].

المناظرة كظاهرة إنسانية ولغوية سمعية بصرية ليست هي المقابلة ولا المحادثة ولا المناقشة، إذ أن التناظر لا يقصد به المنافسة على الحديث أو إبراز الرأي، بل هو مباشرة أوجه النظر والحجج بأسلوب تراكمي في حضور طرف محايد يقود ويوزع الحديث، ولا تصدق المناظرة بين أطراف متفقة في الرأي من البداية.

صورة شاشة – مناظرة متلفزة بين نيكسون وكينيدي
أعدتها المجموعة ABC CBS NBC

انفردت المناظرة التلفزيونية بين برامج وسائل الإعلام الحوارية بمجال واسع من الحياة السياسية، ولعل أبرز محطات الحملة الانتخابات الرئاسية للولايات المتحدة الأمريكية مناظرة " ريتشارد نيكسون Richard Nixon " و "جون كينيدي John Kennedy " عام 1960، تلك المواجهة الديمقراطية التي علق عليها " جامس فالوز James Fallows " كاتب الرئيس الأمريكي " جيمي كارتل Jimmy Carter " قائلا " إن اللحظات المهمة في السياسة الأمريكية هي التي اتسمت بالعاطفية والتي كانت مرئية .. اذا أردت أن تعرف من سيبدو خاسرا أم منتصرا فان عليك أن تشاهد المناظرة حتى دون سماع صوت التلفاز "، ينظر منذ أولى موجات بزوغ المناظرات إلى التلفزيون كمخبر تحليل لجدول اهتمامات الجماهير أو ما يعرف بترتيب الأجندة وصناعة الرأي، إذ تسهم الهالة الاخبارية اليومية في بناء تصورات القضايا الأكثر اثارة للجدل

[38] **" How Do Campaigns Shape Vote Choice ? Multi-Country Evidence From 62 Elections and 56 TV Debates "** Working Paper ¸by Caroline le Pennec and Vincent Pons¸ Havard Busness School National Bureau of Economic Research¸ December 2019¸ p06

وتقرير مصيرها وتعزيز أو نقض المواقف التي يتأنى المتابعون في الفصل بشأن اتجاهها، تخبر الصحافة الناس بما يجب أن يفعلوه حيال العديد من المسائل الجوهرية بل قد تتحول الخدمة الاخبارية إلى خطام يشد طرفه المحررون لقيادة الشعوب نحو الجانب الذي يفضلونه لها[39]، إن التلفزيون ليس مجرد قناة استكشافية للأحداث بل شبكة من السلاسل والعمليات الجدلية التي لا يسهل ابصارها مباشرة او فرض القوانين وسياسات الحكومات عليها بشكل مطلق.

تخدم بشكل مباشر المساحات المخصصة للجمهور داخل الاستديو التفاعلي افتراضات التمثيل الشعبي أمام الرأي العام، وقد ينظر إلى السلوكيات والتعابير المتزامنة مع النقاش على أنها تدفع الجمهور إلى تقمصها واكتسابها في الحياة العامة كاستجابة مرتبطة بعنصر " الاسترجاع "، ومن خلال ما يلعبه التلفزيون من أدوار تتحول الرسائل إلى محفزات على الرغم من الاعتبارات المعرفية السابقة للجمهور والتي قد تسقط في سلة الإلغاء مع السبل المعززة لتفاعلات الحجج والبراهين، فالتواصل مع الأقليات ليس متاحا للجميع والمزيد من الضوء حولهم قد يغير وجهات النظر، هذا ما تفسره " صونيا ليفينغستون Sonia m Livingstone " من خلال نظرية الإدراك الاجتماعي The theories of social Cognation التي تنطوي على إعادة البناء الرمزي للمعرفة والدوافع والأفعال العاقلة[40].

تفرض حالات الإصرار على صحة الاعتقاد في المناظرات وبشكل مباشر أن لا يتجنب أو يرفض أي طرف إثارة الحجج، فالصواب والخطأ أو اليقين والزلل لا يمكن الاعتقاد بها من دون البناء الحجاجي، وعلى مستوى أساسي آخر لا توجب المعلومات والأفكار والتجارب المسبقة للجمهور أن تكون حجج المناظرة تابعة لها من حيث القيم أو متأثرة بها، وينطبق هذا على المناظرات في ميادين العلوم المجردة والفلسفة وعلوم

[39] Bernard.C.**Cohen**,**The Press and Foreign Policy**, First edition, Princeton University Press, USA, 1963, p 13
[40] Sonia M. Livingstone, **Making Sense of Television**, First edition, Pergamon Press, USA, 1990, p 26

المادة بعيدا عن السياسة، ذلك أن السياسة فن المجتمع، ولا تكون المناظرة عملية إذا لم تنجح في استفزاز وإثارة مناقشات بين الجمهور سواء إن أحدثت توافقا في الآراء أو معارضة، وتساعد الثقافة والأيديولوجية وأخلاقيات الممارسة الإعلامية وأعراف التواصل الإنسانية على إدارة النقاش الذي لا ينطوي على تفاهات أو أي غموض أو سفسطة، ولذلك يبدو جوهريا التفريق بين " مناظرات تلفزيون الفضاء العمومي " وبين "المبارزات التلفزيونية " .

كما أن فكرة " العقد الديمقراطي " في بناء الرأي مشروطة بالاستقلالية وإقامة التفاهم والإجماع لذا فإن مسؤولية إزالة التمايزات ودحض الإخراج العاطفي للمناظرة التلفزيونية تستدعي قواعدا معيارية نحددها كما يلي :

أ – **المعيار النظري**: استخلص مشروع التنوير للفيلسوف الألماني " يورغن هابرماس Jürgen Habermas " – العقلانية التواصلية – كاختبار جدلي للماركسية على اعتبار أن النظم المعرفية لا يرتبط جوهرها بالأداتية على وجه الحصر، ومن بين الآثار المترتبة عن هذه الرؤية نفخ روح جديدة في الفلسفة الاجتماعية لما بعد الحداثة، فضلا عن ذلك فإن التصور العقلاني لتفاعل دياليكتيك الأداتي والتواصلي يقترح مفهوما جديد للعدالة يحيل إلى تحقيق الإجماع على مبدأ أخلاقي يشمل المساواة وإضفاء الطابع الديمقراطي على الظواهر الاتصالية، تقدم نظرية أخلاقيات التواصل في سياق ما يتعين الالتزام به من مثل عليا لحسم المناظرة التلفزيونية مبدأين جوهريين :

1- استبدال سلطة المقدس بالأخلاق : تتمايز المجتمعات من خلال اختلاف مكونات موروث الدين والعرف الاثني، ويتقمص التواصل في ضوء ذلك هوية تنشأ عبرها الشخصية الثقافية

والايدلوجية للمصلحة والحقيقة،[41] ولا يكون الاعتراف قائما سوى على عدم تناقض حتمية المقدس مع أحكام وتجربة الآخر إلى الحد الذي تصبح فيه المعارضة محرمة وغير بصيرة، تصوغ العقاب وتتصادم مع ثوابت أخرى قائمة على معيار استثناء النقد، مع هذا يبدو تبرير القوة الملزمة للأخلاق المقدسة نموذجا غير مثالي لقيام المناظرة وفوق ذلك لا يكتسب التواصل أفكارا نقدية غير تلك المناقشات المشوهة المتعثرة بالحشو والغلو، تعتبر النظرية " الصدق، الدقة، الحقيقة والمعقولية " شروطا لأخلقه التواصل وإقامة تساوق حججي تنشأ عنه الحالة المثالية للكلام وهي الحالة النقيضة للتعسف والعنف ولا مناص أن تخضع لها إرادة الجميع .

2- المساواة والتضاد : لا تجد أخلاقيات التواصل بديلا عن المساواة من أجل المفاوضة العادلة وتقتضي المساواة بين أطراف النقاش العدل في إبداء الحجج والبرهنة، ولا يصدق إبداء " رأي إجماع " بين الفرقاء على أي امتياز في مناقشة الحجج المضادة حتى لا تتعذر المناظرة بالانسجام والتوافق لأن تحققهما يبطل النقاش ولا تعدو المناظرة إلا أن تكون منتدى للثرثرة لأن الأصل أن تقوم على الاختلاف.

ب – معايير الشكل: تتأسس المناظرة التلفزيونية على :

1- اعتبار الاستديو هو " المنتدى التداولي " (راجع أول هذا الفصل) ويتألف من مجال مادي وآخر لا مادي يضمنان توازيا متناظرا مع جمهوري : الاستديو والمشاهدين، ويأخذ المؤطر أو " قاضي المناظرة " من زاوية أو منتصف ساحة المنتدى موقعا إلى جانب الأفراد الذين يقومون بدور إثارة الأسئلة حال كان دور قاضي المناظرة توزيع الحديث والإلقاء، وهو لا يتبنى المواقف والحجج، ويلتزم الجميع بأخلاقيات التواصل في الفضاء العمومي.

[41] Jurgen Habermas, **Theorie des Kommunikativen Handelns** , Band 02, First edition, Suhrkamp, 1988, P140

2- العرض والغرض : تثار المناظرات في الأحداث والممارسات الثقافية والسياسية والمعرفة والتجارب الإنسانية والمظاهر الأخرى المتعلقة بالواقع الفعلي أو المكتسب، وتأتي على هذه الأغراض التفيئة إلى المناظرة السياسية، مناظرات العلوم، المناظرة الفلسفية ومناظرة الأديان...وغيرها.

ثانيا : التلفزيون كامتداد للتغيير الاجتماعي Television as an extension of social change

يسرد التلفزيون تجاربنا الواقعية ويطلعنا على قصص تجارب الآخرين القائمة في حدود بيئتنا المباشرة أو خارجها حول العالم، ويؤدي وظيفة اجتماعية أساسية في بناء تصور لعلاقاتنا ضمن الأجندة العامة للواقع الاجتماعي والسياسي، يعمل هذا على تنبيهنا المستمر بضرورة المشاركة في حل المشكلات التي يثير حولها الفضاء العمومي النقاش، وبشكل رئيسي يقود التلفزيون دورا بارزا في تلبية الاحتياجات الثقافية والاجتماعية وإثراء الحياة بتقمصه لمهمة " الخدمة العامة "، إثراء المحادثات الأسرية بعفوية على سبيل الانخراط في تجربة مشتركة، وتلك البرامج الثقافية وبرامج الأطفال التي حققت المزيد من الاندماج الأسري وجعلت تناول التلفزيون جزءا من تناول الحياة اليومية، لذلك نرى أنه يبدو مهما دراسة أثر التلفزيون في الحياة الأسرية كسياق لتفسير التفاعلات الاجتماعية الأخرى.

حاول " دافيد مورلي David morley " في مشروع بحثي جاد استطلاع " الأبعاد الاجتماعية للمشاهدة " وديناميات الاستخدام والتفاوض ومناقشة المواد التلفزيونية بين عينة من العائلات، وعند تحليله لأثر سمة التنوع من حيث الجنس في " جمهور العائلة "كخلية مستهدفة توصّل إلى أن برامج الرجال المفضلة هي الأخبار المحلية وهم يجعلون من افرد الأسرة مجبرين على إعطائها اهتماما اكبر بين باقي البرامج والحرس على متابعتها معا، ذلك أنها تمنحهم فكرة عما يحدث في الجوار وتجعلهم حذرين على صغارهم بمناسبة مشاهدة حوادث ترصُّد أو عنف ضد الأطفال، هم لا يشعرون بحماية التلفزيون لهم ولكن حتما يقدم لهم احتياطات الأمان [42].

[42] David Morley, **Family Television Cultural Power and Domestic Leisure**, First edition, by Routledge, 1986, p163

إن التلفزيون من خلال تدجينه للأسرة وجعل افرادها مواطنين يسعون إلى المتعة والمعرفة يشاركون كل ما يشاهدونه بغض النظر عن استيعاب ما شاهدوه لاهتماماتهم الشخصية، يفرض على الحياة العائلية حتى في حالات عدم التجانس والتضاد الجنسي والاختلافات ذات المصدر الثقافي طقوسا كالتفاوض حول المواقف والتعبير عن التفضيلات تؤدي بالضرورة إلى نجاح التلفزيون في إثراء الاهتمام ببرامجه ومكانته الاجتماعية.

يرتكز عمل التلفزيون على صناعة نماذج متعاقبة مع الواقع وقد تتصل به دون قصد عندما نستكشف ذلك من خلال أنواع الربط المعنوية وفي هذا توصّلت دراسة في الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن طلاب أقسام ثانوية تعرضوا لمشاهدة المسلسل التلفزيوني" Prisoner : Cell Block " تدور وقائعه حول يوميات سجناء داخل زنزانة، كانت ملاحظاتهم بشأنه قد ارتبطت بمطابقة الحياة التي يقضونها داخل الوسط المدرسي مع أسلوب الحياة داخل السجن وقد لخصوا ذلك في مجموعة محددة من الوضعيات :

– الحجر على التلاميذ داخل قاعة مغلقة – فصل التلاميذ عن أصدقائهم – سياسة العقاب – لا يمكن للتلاميذ مناقشة المعلم أو المطالبة باي نظام حقوق خاص – إساءة بعض المعلمين لهم – عصابات داخل القسم الدراسي – محاولة كسر القواعد.[43]

إن فكرة السعي وراء الإشباع والمتعة لا يمكن حملها خارج إطار الرغبة في تحقيق التغيير، فمثلما تأتي مضامين التلفزيون كخلاصة عن صناعة متقنة تتشكل اتجاهات السياسات الإعلامية بين العلاقة المباشرة للتلفزيون والجمهور، وفي كثير من الأحيان لا تعرف المجتمعات صياغة طريقها نحو التغيير الاجتماعي بمفردها إذ يساعد التلفزيون المواطنين على المشاركة في العمليات الديمقراطية التمثيلية والنيابية، ولا يحمل التغيير دوما مفهوم الاستقلال من القوى الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية المهيمنة فتوحيد

[43] John Fiske, **Television Cultur : Popular Pleasures ans Politics**, 10 edition, by Taylor & Francis e-Library, London, 2001, p68

الثقافات وعولمتها ونشر أنماط التنوع من العيش قد يقترح حلولا لأمم غير متجانسة كما يفعل التعليم في استئصاله للجهل والأمية.

يقول " جون فيسك Joh Fiske : " لابد أن يكون للتغيير الاجتماعي جذور في الوجود الاجتماعي المادي، لكن باستطاعة التلفزيون أن يكون جزءا من هذا التغيير "، في عام 1970 اتجه مسلسل " الشرطية Police Woman " إلى تسويق صورة المرأة المتحررة المتمردة على الواقعية الأبوية والفوارق الجندرية المسيطرة على الرأسمالية آنذاك، كانت أدوار المرأة في أبرز المسلسلات الشعبية الأولى تقتصر على تمثيل الحياة المنزلية اليومية ولا تخرج في العادة عن تصوير الأسرة أبوية السلطة، في تلك المرحلة اتصف المحتوى بأربعة ملامح أساسية هي : التركيز على العملية التمثيلية وكسر قاعدة المشاهدة التلفزيونية نحو إيهام الجمهور على أنه يعيش حالة من مشاهدة الواقع، لاوجود لمتفرج ثابت، واعتباره جزء من المحتوى يتفاعل معه، التلاعب بالمشاعر مقابل عمليات معرفية من خلال المدخل العاطفي، وأخيراً إخفاء الفرق بين الوثائقيات والمضامين الروائية ويكمن هذا في ايحاء الخلط بين التمثيل والواقع.[44]

ومن هذا المدخل امتلكت وسائل الإعلام القدرة على وضع أجندة للجماهير لإعادة إدراك الواقع من خلال التأثير على المواقف والأفكار والتصورات، لقد لعبت محطة BBC و CNN خططا سياسية واجتماعية في إدارتها لأحداث هجمات 11 سبتمبر 2001 لتعيد إنتاجها كذرائع لغزو أفغانستان لاحقا من خلال جهودها المبذولة في تشكيل الرأي العام والتحكم في قيادة المعلومة،[45] إن ما ينشأ عن إحداث قطيعة بين فعل المشاهدة والعقل هو الاستجابة للتأثير دون شك، ومع ذلك ليست كل المضامين التلفزيونية مرجح أن تقوم بهذا الغرض فقد يشعر المشاهد أن قيمه تتعرض لشكل من أنواع الإغراء من أجل استبدالها وهذا ما قد يعود سلبا على الصناعة الثقافية ويعرضها للهجوم والانتقام الاجتماعي، ومع التأثير الحتمي

[44] John Fiske, **Television Cultur : Popular Pleasures ans Politics**, Op.cit, p44-45
[45] Brian McNair, **News and Journalism in the UK**, Fifth edition, by Rourledge, USA, 2009, p29

للواقعية في حالات محتملة بإمكان المشاعر أن تعمل على تجاهل العقل لمبادئه وتجعل مشاهدة التلفزيون مرغوبة إلى أن يحدث التنازل نتيجة للتكرار أو استحالة التعرض لمحتوى ملائم للاعتبارات الذاتية وأيديولوجية المجتمع.

امتدادا من خمسينيات القرن العشرين ساد التلفزيون في أوروبا وأنحاء من العالم كصناعة ثقافية مارست عليه الأنظمة سلطتها الشيوعية والفاشية، بدأ التلفزيون بربط الشعوب المستمتعة بالثقافة الوطنية مع الذوق الموحد في السياق السلطوي، وأدت عوامل الجذب كمضامين التسلية إلى الرفع من شعبيته ما حفز على دفعه إلى خدمة السوق التجارية من خلال صناعة الإعلان بعد أن ضمنت الدوافع الاقتصادية التعبئة الشعبية على اعتبار تلبية الاحتياجات وتأمين منافع للمجتمع " الخدمة العامة " وضفرا بمصلحة " المستهلك الطموح "، إن التأخر في مواكبة ثورة البث الأولى كان ينظر إليه كمؤشر على الفشل السياسي والاقتصادي كما هو الحال في اليونان تلك الحقبة، ومع انتشار محطات البث والتنوع الجريء في المحتوى الذي فحصته الجماهير بانبهار بدأت بواعث التقمص والتقليد والتغيير والتجاوز الطبقي تنتشر في أنحاء من أوروبا وأمريكا، لم تكن هذه النزعة تحررية مع البداية بل فشلت في مقاومة الصراع الثقافي الذي هيمنت عليه المجموعات النشطة في خدمة مصالح النخب السياسية ومع هذا أصبح ينظر للتلفزيون كأداة مركزية في بناء الوعي القومي ولّدت لدى الجماهير الإحساس بالخبرة المشتركة والتماسك الاجتماعي ولكن بنموذج خطي من القمة إلى الأسفل، ومع سيطرة الأنظمة المباشرة على التلفزيون بشكل أيديولوجي مطلق حتى ما بعد الحرب العالمية الثانية – كان يطلق عليه " سلاح الحكومة " – ظلت الدراما والموسيقى وبرامج الترفيه في الاتحاد السوفياتي وألمانيا مثيرة لتغذية الشعوب بالهوية، مصارعة الثيران والفلامينكو والخطابات السياسية على التلفزيون الإسباني إبان حكم الديكتاتور " فرانسيسكو فرانكو Francisco Franco "شجعت لدى الطبقة العاملة الوسطى التمسك بتقاليد الأمة الوطنية، لقد تميزت تلك الفترة بالعمالة والركود

الاقتصادي وعدم المساواة ولم يكن يسمح بالتنوع الثقافي كما كان ينظر إلى التلفزيون كأداة للتلقين، الإلهاء والتبشير بالحداثة وفرض صورة النظام السياسي السائد،[46] وبث خطابات المؤيدين له.

في العقد السادس من الحقبة نفسها ظهرت أول محطة تلفزيون عامة في اليونان " TED تلفزيون القوات المسلحة " في سباق لفرض الجيش سيطرته على الإعلام العمومي، وعرف المناخ الأوروبي في ظل الديكتاتورية تقاربا من خلال تركيزه على الدراما الممجدة لملاحم الحكم ومحتوى " الترفيه " للتأثير في المشاعر العامة كما هو الحال في إسبانيا واليونان، وفيما يلي ملمح للمجازفات والمعابر التحررية التي مر بها التلفزيون آنذاك :

نقدية الفكاهة المتلفزة : في تحد مرتجل للرقابة وظّفت السخرية والفكاهة في المسلسل الهزلي This One and That One فن التمثيل كأسلوب لإثارة حوار درامي يشكك في الإيديولوجية الثقافية والسياسية في اليونان على مستويات من الإيحاء، ومع نشوء محطة تلفزيونية أخرى EIRT إلى جانب YENEDأو TED لم يتغير التزام وسائل الإعلام تحت الضغط بمجاورة النظام، حتى الكنيسة تجنبت أية إثارة لفلسفة رموز ديمقراطية أثينا القديمة على خلفية هستيرية الانضباط والقمع، وفي مواجهة الشيوعية كان للبرامج الأمريكية – المسرحيات والمسلسلات – حضور في التلفزيون اليوناني لممارسة المزيد من الإكراهات الليبيرالية.

أما في ألمانية الشرقية فقد اتجهت الاشتراكية إلى التحقق من إخضاع الثقافة الشعبية للرقابة بما في ذلك روافدها المختلفة شأن المسرح والموسيقى، وكانت مضطرة للترويج لموسيقى " الروك " وفرق " البوب " المحلية عبر البرامج الإذاعية والتلفزيونية حماية من غزو الموسيقى الغربية، وقد ساهم بالفعل التلفزيون في نشر هذا

[46] Peter Goddard, **Popular Television in Authoritarian Europe**, Edition not mentioned , by Manchester University Press, UK, 2013, p36

النوع من المحتوى مع فرض رقابة على أي تناقض صاخب مهدد بحركة مستقلة عن الإيقاع العام لها المتضمن لأفكار شيوعية خالصة الولاء، بينما كان الأداء متواضعا مقارنة مع جودة السرد السمعية البصرية لبرامج الموسيقى الغربية الأكثر تنوعا[47] والتي خاضت هي الأخرى باستمرار في ألمانيا الديمقراطية مرحلة صعبة لفرض المزيد من الحرية حتى العصر الذهبي لـ " المسجل" و " قارئ كاسيت الفيديو " من الثمانينات، ازدهار محطات التلفازيون الفضائية ونمو ثقافة الاستديوهات الخاصة أحدثت واقعا جديدا من الإبداع الحر المرن قاده نخبة من الموسيقيين – الروك والبوب – لتبدأ المجتمعات خطاها نحو الملكية الخاصة لوسائل الإعلام إلى غاية ذوبان الجليد بين الألمانيتين .

العبور الحر من البث المباشر : في ذات الفترة كان المعسكر الشيوعي – الاتحاد السوفياتي – يعرف نموا في انتشار أجهزة التلفاز وشملت البرامج بث الأعمال المسرحية ومسابقات الاستديو وعروض خاصة بالأطفال، عرّضت تجربة البث المباشر الأولى للبرنامج الترفيهي التفاعلي KVN عام 1961 قناة الاتحاد للذعر بسبب عدم القدرة على التحكم في المحتوى وإجراء قص لما كان ينظر إليه في انتقاد الشباب لواقع الحياة اليومية على أنه دعابة لاذعة وإن كانت بأسلوب هزلي عبثي، أثار البرنامج رضا الجماهير وبدأت في " تذوق النقد الاجتماعي " في سياق الفكاهة والمنافسة في وقت كانت الدعابة السياسية مفقودة في المضامين الإعلامية السوفياتية طوال الفترة الممتدة بين 1957 إلى غاية 1970.

إن النهج المتطرف لدحض قدرة الشعب على المشاركة في الحكم من خلال تشديد الرقابة على الفضاء العمومي يمكن أن ينبثق عنه حركات واسعة للتحرر باعتبار أن حق التعبير وإبداء الرأي مكمل للحق في الحياة الإنسانية، ولعل قول رئيس الوزراء البريطاني السابق " ونستون تشرشل Winston Churchill "

[47] Peter Goddard, **Popular Television in Authoritarian Europe**, Op.cit, p178

: " الديمقراطية هي أسوء أشكال الحكم "[48] هو ذلك الشعار الخفي الذي كان يسيطر على حالة رسمية قوية من الرفض لممارسة الحريات.

لم يتجاهل التنظير قراءة وتمحص واقع الرقابة على وسائل الإعلام والتلفزيون والاختلاف بين النظم الإعلامية منذ عصر النهضة وثورة الاتصال، وفي محاولة للإجابة على إشكالية عدم التزامها بأخلاق الديمقراطية برزت حتمية تناول علاقتها بالأنظمة الاجتماعية والسياسية ومن هذه النماذج:

النظرية السلطوية : في معظم الظروف لا يكون الفرد متحضرا ولا آمنا إلا باعتماده المطلق على نظام الحكم والسلطة المعنوية ومن خلاله فقط يحقق غاياته ويصل إلى المعرفة،[49] وتتوافق وسائل الإعلام مع ذات العقيدة الأساسية التي تتجسد مع أسبقية الدولة على الفرد وشموليتها له من حيث جمع المؤسسات والأمة داخل سلطة نفوذها، أما قوة الجماهير فهي محدودة للغاية تقتصر على التعبير عن ولائهم لها والتضحية بالحرية في سبيلها، وتتجاوز مبادئ الدولة إلى الاعتقاد أن سلطتها مستمدة من الآلهة، وقد عملت الأنظمة السلطوية الجشعة في أوروبا الشرقية والغربية في مراحل متقدمة من ظهور وسائل الإعلام على جعل الحق في الوصول إليها محتكرا لمجموعة تمثل الحكومة في معظم الأحوال، ويقابل من يعبر عن آراء معادية ومعارضة للسلطة الاتهام بخيانة المجتمع وتهديد استقرار الدولة أو زرع الفتنة، وعلى سبيل التعسف طورت الحكومات الشمولية أنظمة جزائية تُشرع إعدام من يُتهمون بالتحريض على الخروج عن الحكم[50] وتلتقي النظرية السلطوية والماركسية والسوفياتية في أوجه عديدة تحققت في مرحلة واحدة من تاريخ الحكم المطلق على وسائل الإعلام طبعها التفكير الاستبدادي ذاته، أما حديثا فتوظف أنظمة معاصرة النظرية تحت غطاء من شعارات الحرية والليبيرالية والديمقراطية المقنعة.

[48] Binkuromo Ogbedor, **British Media Coverage of the Press Reform Debate**, Electronic edition, Palgrave Macmillan, UK, 2020, p55
[49] Fred S.Siebert and Theodore Peterson and Wilbur Schramm, **Four Theories of the Press**, Electronic edition, University of Illinois Press, Urbana and chicago, p11-12
[50] Ibid, p24

النظرية الشيوعية السوفياتية : يأتي هذا الطرح الذي يمثل تطورا للنظرية السلطوية سجالا بين نموذج التغيير الاجتماعي كما يراه الاتجاه الماركسي والتفسير الهيجلي لانتصار العصر الجديد من الثورة الاجتماعية القائمة على سلطة الفرد، تتصور أيديولوجية ممارسة السيطرة في هذه النظرية أن " السلطة الرابعة " مفهوم غائب ولا يمكن الوصول إلى قنوات الاتصال بصفة عادلة، والتلفزيون هو مؤسسة طبقية تمثل الشخصية المثالية السوفياتية وتتحدث نيابة عن الشعب، تساعد على امتلاك قوة التعبئة والتنظيم الجماهيري والقيادة التوجيهية والدعاية، وهو لصيق بأدوات السلطة الأخرى التي تستبعد المعارضة، ويثير هذا الإشارة إلى النموذج الإيطالي والألماني النازي سابقا والكوري الشمالي المعاصر الذي يرتبط فيه مفهوم المسؤولية الإعلامية بالرقابة المباشرة الخاضعة للطبقة الحاكمة.

النظرية الليبرالية أو حرية وسائل الإعلام : مع بداية عصر الرفاه وتدفق دماء جديدة في الفلسفة التحررية التي ترى أن الفرد هو مركز الكون والحضارة وأن الحقيقة هي مثار جدل ومنافسة حرة بدأت سيادة العقل في تحدي السلطة والقوة بظهور الطبقة الوسطى في معظم دول أوروبا الغربية[51]، وجاء مع الثورة الفرنسية والإعلان العالمي لحقوق الإنسان حق نشر الآراء والنقد العام، وفصل رقابة الدولة عن الكنيسة والتسامح مع تنوع الانتماءات الدينية والاعتراف بمبادئ العلوم التطبيقية في تفسير الظواهر الطبيعية، وترجم انتصار الديمقراطية واندماج التيار الليبيرالي مع التيار العقلي حرية وسائل الإعلام وحماية الفرد من التعسف وقيود الحق في الكلام، وفرض الوصول الفعلي للجماهير على الصحافة الاستقلال عن تمويل الحكومات بضمان دعم مالي أساسي مما أدى إلى الوثوق في النظام الرأسمالي الذي ألهم وسائل الإعلام الاعتماد على الإعلانات كمصدر اقتصادي للحرية، وظهر مفهوم " الرقابة على الدولة " كوظيفة جديدة لوسائل الإعلام، في أعقاب ذلك استبدلت الحكومات جديدة العهد بالديمقراطية أشكال الهيمنة المباشرة بدساتير

[51] Ibid, p42- 43

وقوانين تقوض حرية وسائل الإعلام والمناقشات العنيفة الداعية لتغيير أنظمة الحكم خارج المؤسسات الديمقراطية والبرلمانية وأصبح الإعلان والضرائب من آليات الضغط والرقابة على هيئات البث التلفزيونية مما رفع من تكاليف تشغيلها وبدت تجربة التحرر غير آمنة من النزعة السلطوية المتجذرة حتى في الأنظمة الرأسمالية والديمقراطية على الرغم من التأسيس الأممي لاتفاقيات التدفق الحر والمجاني للمعلومة.

نظرية المسؤولية الاجتماعية : في ظل توسع النظرية الليبيرالية لوسائل الإعلام خلال القرن العشرين افترض بالحرية أن تضطلع بالمسؤولية أمام المجتمع من خلال وظائف عدّها " ثيودور باترسن Theodore Peterson " : – توفير المعلومات والمناقشة في الشؤون العامة، – نشر الوعي الجماهيري بالحرية، – حماية حقوق الفرد ومراقبة أداء الحكومة، – الخدمة الاقتصادية – الإعلان، – الترفيه، – الالتزام بالاستقلالية المالية لوسائل الإعلام، وفي حين ترى نظرية المسؤولية الاجتماعية أن هذه الوظائف تبدو قاصرة في أداء مهمة نشر الوعي ودمقرطة المجتمع وأن الترفيه لابد أن يخضع للأخلقة يعتبر " جون ميلتون John Milton " من بين الشخصيات المجددة لأفكار الليبيرالية التقليدية أن إنهاء القيود المفروضة على وسائل الإعلام كان بمثابة مقدمة لنشوء مناخ توتر جديد من أبرز سماته : – ترسيخ المصالح الخاصة لمالكي وسائل الإعلام على حساب الآراء المعارضة، – تحكم المعلنين في المحتوى والسياسات التحريرية، – مقاومة وسائل الإعلام للتغير الاجتماعي، – السطحية في تغطية الأحداث والقضايا الجوهرية وافتقار مضامين الترفيه للجودة، – مساس وسائل الإعلام بالأخلاق والآداب العامة – انتهاك خصوصية الأفراد، – تحكم جماعات الضغط في وسائل الإعلام بما يعرض حرية التعبير للخطر. [52]

بينما اتجه الإنتاج السمعي البصري خلال القرن العشرين إلى إثارة العواطف اتهمت الجماهير التلفزيون بنشر الإباحية والتحريض على فساد الأخلاق والجريمة وتقهقر الذوق في تصوير الحياة العامة، ومع إصرارهم

[52] Ibid, p74.p78-79

على تأصيل الحريات الإيجابية غير المتعارضة مع المبادئ التي تفرض المسؤولية الاجتماعية كضمان لتقييد مشغلي وسائل الإعلام ومالكيها أصبحت صياغة معايير وقواعد أخلاقية ممارسة مهنة الصحافة شرطا لتعزيز النظام الديمقراطي للمجتمع خاصة مع تزايد خطابات العداء والكراهية، وفي صلب هذا الوعي الأخلاقي تبرز أفكار المدرسة النقدية الألمانية ورؤيتها لممارسة الاتصال حيث تبلور احتكام العلاقات الإنسانية على أساس أخلاقيات تنشأ عن عقد خياراته الأساسية هي المسؤولية والصدق والحقيقة والتخلي عن المصالح الذاتية الضيقة للفرد أمام المبادئ الكونية.

تؤسس نظرية المسؤولية الاجتماعية للتغيير المتكيف مع المجتمع على مبدأ الالتزام بالتبادل الحر للأفكار في تناغم مع حرية سليمة لا تثير صراعا حول مستوى المناقشة العامة بل تضمن جدالا يتسم بالمعقولية اعتمادا على استيعاب الأخلاق لكافة التصورات المطروحة.

في ثقافة وسائل الإعلام اليوم اصبح استثناء الحديث عن " التغيير " شبه مستحيل بالنظر إلى التفكير النقدي للمجتمعات واستنارة الناس بالديمقراطيات وحرية التعبير وقيم العدالة والمساواة، حتى بات ينظر إلى تهديد الصحافة بمثابة تهديد للديمقراطية مثلما واجهت الجماهير في اليونان بالاستياء والغضب عام 2013 قرار الحكومة إيقاف بث شبكة ERT الإعلامية العامة، وقد أضحى من الضروري في تحديد بواعث التغيير الاجتماعي فحص تأثيرات التلفزيون التي عادة ما تكون موضع دراسة كما هو الشأن بالنسبة لاستطلاعات الرأي والتنبؤ المبكر بالسلوك الجماهيري، ففي اللحظات الحاسمة للمجتمعات يظهر أثره على المواقف والمعتقدات والأفعال، وقد يجبر المواطنون في دول تظهر العداء للديمقراطية على متابعة التلفاز قصد ضمان مساحة ولو حرجة في سبيل مناشدة القضايا التي تشكل لديهم موضوع معارضة، أما التلفزيونات المملوكة للأنظمة أو تلك التي تمولها الحكومات ففي الغالب تأخذ عنها الجماهير انطباعا بالتورط مع السياسات الموجهة وفي أحيان تُستهدف ويتعرض صحافيوها للإساءة، وبيد أنه لا يجب أن ينظر إلى

الديمقراطية كشعار تدّعيه الأنظمة المتشدد يمكن أن تفسر تشريعات مهن النشر والصحافة الصراع بين السلطة المعادية للديمقراطية ووسائل الإعلام الأكثر تحكما في إثارة الرأي العام، فلا سبيل إلى تجاوز تهديدات الشمولية السياسية الجديدة المقنعة من دون السيطرة على تدفق المعلومات في الفضاء العمومي.

ثالثا : الاستجابة للإعلام الجديد Responding to New Media

حافظت الأخبار التلفزيونية مع الانتقال من النظام التماثلي إلى الرقمي تسعينيات القرن الماضي على ممارسة الجزء الأكبر من التداول الإعلامي لحرية التعبير ومثّلت العرض الديمقراطي الأكثر انتشارا للأصوات المتعددة، هناك من يرى ذلك نموذجا من أشكال التوسط بين المواطنين والأنظمة السياسية كما يعتقد " يورغن هابرماس Jürgen Habermas "، إن معاصرة المجتمع ومتابعة عوالم التحول التكنولوجي كلف التلفزيون بمهام تستند إلى حتمية تشجيع مؤشرات التفاعل مع البيئة الإعلامية الجديدة والفضاء العمومي – الافتراضي – وتكييف أولوية الوصول إلى الجماهير عبره سواء بدمج الخصائص التحريرية للصناعة التلفزيونية مع المحتوى الرقمي أو امتلاك القدرة على السباحة على النحو نفسه من السرعة التي ظلت أبرز ميزة في صحافة عصرنا.

قدّمت شبكة الأنترنت عروضا ممتازة للتلفزيون مثل هالة الأخبار ووفرتها غير المحدودة، ولا شك في أن ذلك ساهم في تنويع المحتوى لتصبح هذه الفرصة وسيلة لتشجيع تطور مستوى معالجة القضايا الآنية ذات الاهتمام الواسع، لم يفقد التلفزيون السيطرة على التأثير في الرأي العام حيث تفطن إلى ضرورة الابتعاد عن إعادة إنتاج محتوى الوسائط الرقمية نحو تقديم معالجة متحررة وعميقة ملائمة لمعايير تحريرية مرتبطة بالذكاء التقني لأجهزة التقاط الصورة والصوت ومكونات الاستديو، اكتساب مهارات المرونة في الرصد والعرض لمنافسة تدفق الأخبار والمعلومات عبر المنصات والشبكات الاجتماعية استدعى مجاراة ارتفاع مستوى الحريات وبذل جهد أكبر في منافسة أولئك الذين يملكون القدرة على " تقليد شخصية التلفزيون " باستغلال وسائل البث المتاحة والحركة الحرة لخدمات البث زيادة على ذلك القلق إزاء عواقب التحدي

الجوهري لصحافة المواطن في ممارسات معاكسة للقيود على المصداقية كما سبق وأن أشرنا في الفصل الأول بشأن الأخبار المضللة.

يتفق الجميع على أن تلفزيون اليوم أسقط تلك التخيلات الزائفة بشأن تضرر مستقبله في مقابل الخصوصية الجديدة للإعلام حديث العهد بالتكنولوجيا، مع حلول عام 1994 بدأنا نعرف التلفزيون الرقمي التفاعلي ITV وأصبح بإمكان المستخدمين في بريطانيا الظفر بخدمة تجدول المحتوى وتعرضه عند الطلب، هنالك اقتربنا من إجراء محادثات عبر الشاشة استعداد لثورة التلفزيون الذكي التي سنحت له نقل الحياة الواقعية بأسلوب غير محدود وجلب ذلك المزيد من الأرباح لمنتجي خدمات الدفع خاصة مع ظهور التلفزيونات المحلية والعابرة للحدود الوطنية،[53] ومنذ ذلك حافظ التلفزيون على مرتبته في أعلى هرم المجال السمعي البصري كأهم مصادر المعلومة بما يقارب 04 آلاف قناة تلفزيونية عام 2005 في أكبر أسواق العالم – الاتحاد الأوروبي – في ذات العقد من القرن امتلكت 99 في المائة من 176 مليون أسرة جهاز تلفاز[54] ، يمكننا تلخيص ابرز ما ميز عهد التلفزيون الجديد فيما يلي :

تناغم التلفزيون الحكومي مع الحريات : استمرت الحكومات في وضع يدها على كبريات هيئات البث التلفزي في مختلف أنحاء العالم ولكن مع التعلق الموحد لجماهير الوسائط الجديدة بالثقافة السياسية للديمقراطية وحرية التعبير ضمن الإطار الأوسع لنظم الدولة القومية ومجتمع الاتصال أجبرت التلفزيونات العمومية والرسمية ذات التمويل الحكومي على وضع معايير جديدة للمساهمة في التعددية السياسية والتنوع الثقافي بما في ذلك الانفتاح على طرق تمويل جديدة تتعدى المساهمة المباشرة كما هو الشأن بالنسبة لمحطة الإذاعة والتلفزيون العامة اليونانية ERT وهيئة الإذاعية البريطانية BBC التي تعرضت في أكثر من

[53] Natalie Fenton, **New Media Old News Journalism and Democracy in the Digital Age**, first edition, Sage Publication LTD, UK, 2010, p22
[54] Petros Iosifidis, **Public Television in the Digital Era**, First edition, by Palgrave Macmillan, USA, 2007, p03

مناسبة إلى توبيخ من السلطة الحاكمة بسبب تغطياتها التي تجاوزت الخطوط العريضة للسياسة العامة ونذكر من ذلك متابعتها الميدانية لأحداث الحرب على العراق عام 2003 عقب انتهاكات حقوق الإنسان التي شاركت فيها بريطانيا ضمن الحلف الأمريكي، ونحصر تقاليد هذا النموذج في :

- عولمة المحتوى والوصول إلى مختلف الأحداث الدولية – التعددية السياسية والتنوع الثقافي – الاستقلالية التحريرية وحرية المسائلة الصحفية – جودة المضامين التعليمية والترفيهية – تلبية احتياجات التنوع الثقافي مع نشر قيم الديمقراطية والتماسك الاجتماعي وكذا الاعتناء بمعالجة مختلف جوانب حياة الفرد[55] .

الإعلان الاستراتيجي : لا يمكن إغفال دور الإعلان في تطور التلفزيون وعلاقته بمنظومة اقتصاديات الإعلام، في السابق لم يكن بمقدور المعلنين معرفة مدى جدوى إعلاناتهم وفعاليتها أو ترشيد الاستهداف وتتبع المستهلكين المحتملين، لقد أدى النزوح الشبكي للجماهير والاستخدام الشره للمنصات إلى الاهتمام بتطوير تقنيات تحليل وقياس استجابة الجمهور للاختيارات المعروضة من الخدمات المختلفة، سمح هذا لوكالات الإعلان ببناء خطة تسويقية ناجعة تضمن التأثير الفعلي في سلوك المستهلك، وغذت امتيازات دفع المستهلكين لحصة من سعر الإعلان الإبداع في صناعة المحتوى بتكلفة منخفضة، في مقابل ذلك لم يثق المعلنون في طبيعة مستخدمي المنصات قلقا من ذكاء الروبوتات الرقمية وتأثيرها على نتائج دراسات التفاعل، جاء دور التلفزيون في تطوير صناعة الإعلان من خلال استراتيجية مزدوجة هي : أولا – توظيف الميديا الجديدة في فهم عادات الاستهلاك وتحديد احتياجاتهم من السوق، ثانيا : ملاءمة الرسائل الإعلانية التلفزيونية بشكل دقيقة مع التفضيلات الحقيقة للمستهلكين.

[55] Ibid, p07- 08

تجاوز الفجوة الرقمية : ساهم الوعي المتزايد بالتعليم ونشر الثقافة والمعرفة في بذل نقاش عالمي لحل مشاكل تمكين الشعوب من التواصل والمساهمة في تحرير البشرية من تحكم الدول المتقدمة في تدفق المعلومات واحتكارها في اتجاه واحد، انتبهت اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال المنبثقة عن اليونسكو إلى حتمية إنشاء نظام إعلامي جديد يقوم على نهج المساواة بين الجماعات والشعوب والأمم وبناء مجتمع دولي أكثر حرية وعدلا وتوازنا في نظام الاتصالات على أسس ديمقراطية[56] وخلص مطبوع اللجنة " أصوات متعدد .. عالم واحد 1981 " إلى التعبئة من أجل تشجيع البث وتأسيس سياسات اتصال معززة للتفاهم الدولي على أن تكون سياسات الاتصال الوطنية متسقة مع الدولية المعتمدة.

تمتعت وسائل الإعلام في النظام الإعلامي الجديد للقرن الواحد والعشرين بنزعة توسعية لا تعترف بالقيود الجغرافية للمجتمعات الوطنية، التداول الحر لبرامج " تلفزيون بلا حدود " هو المثل الأعلى في النظام الجديد "كما يقول " دافيد مورلي David Morley " و " كيفين روبين Kevin Robins " لقد سهّلت ثورة الاتصالات تقدم الإنسان باتجاه جعل العالم منسجما مع تنوع الأديان واللغات والعناصر الثقافية ومستعدا لقبول مضامين موحدة تماما مثلما شاهدت الملاين من جماهير دول العالم معا مسلسل Dallas و فيلم Star Wars [57] ، أدى الإنتاج السمعي البصري للقنوات الفضائية إلى غزو عالمي تقوده الشبكات الدولية للتلفزيون ووكالات الأنباء متعددة الجنسيات، اهتمت بعض الدول بمستعمراتها القديمة ومولت قنوات ناطقة بلغاتها الوطنية كذلك القوى الاقتصادية الكبرى كالولايات المتحدة الأمريكية والصين والاتحاد الأوروبي، ومحيت الانقسامات الطبقية لصالح كسب الجماعات ولكن بالنسبة لدول العالم الثالث في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية واجهت قيود العجز في البنى التحتية والفقر خطط نشر

[56] **" Many Voices One World** "Report by the International Commission for the Study of Communication Problems, United Nations Educational , Scientific and Cultural Organization, 1980, p39

[57] David Morley and Kevin Robins, **Spaces of Identity global Media, Electronic Landscpes and Cultural Boundaries**, Electronic edition, the Tylor and Francis e-Library, 2002, p11. p15

التكنولوجيا وبدا أن ضمان الوصول العادل للتقنية مهمة محاطة بالمعضلات التي أدت إلى تعميق " الفجوة الرقمية "، وكان لذلك عواقب الانقسام المعرفي ونهاية حلم " القرية العالمية " وأصبحت " الأصوات المتعددة " تعيش في " عالم واحد ومنقسم " ثير الشكوك حول مقدرتنا في التغلب على تطوير نظم الاتصال.

إزاء هذه التوترات قدّم التلفزيون حلولا للعالم لتجاوز الاختلالات المادية والسياسية التي تعطل مقاصد عولمة الإعلام، حيث اختزلت ثورة الفضائيات التفاوتات الدولية وحسمت لصالح الجماهير ضعيفة التمتع بالتكنولوجيا التغلب على مهددات الانسجام مع النظام الإعلامي الجديد.

الفصل الثالث: فضاء عمومي مستقل

Distinct Public Sphère

أولا: من الفضاء الخاص إلى الفضاء العمومي

ثانيا: تلفزيون الأقليات .. تجاوز القيود

ثالثا: فضاء ما بعد القوميات الوطنية

مدخل الفصل : يؤدي بنا البحث في أدبيات الفضاء العمومي إلى تعقب المنظور الفلسفي بقدر يمكّننا من أن نستخلص المبادئ الأخلاقية للمفهوم، بيد أنه يجب أن يكون من الواضح الاعتماد على معالجة تهتم بدور التلفزيون في مقدمة مؤسسات الإعلام في عمليات تشكيل الممارسات التواصلية للتفاوض بشأن السلطة ومن أجل ذلك ينبغي استقراء النماذج السياسية ضمن هذا السياق:

النموذج الليبيرالي الكلاسيكي والبرجوازي : يمارس الأفراد الرقابة على الدولة من خلال أداتين : أ – الرقابة الرسمية : الانتخابات ب – الرقابة غير الرسمية : من خلال ضغط الرأي العام، ووسائل الإعلام هي نظم مركزية ومؤسسات محورية وظيفتها نشر المعلومات اللازمة التي يحتاجها المواطنون لاتخاذ القرارات الانتخابية تساهم في تشكل الرأي العام ضمن فضاء مستقل للنقاش والتداول الحر للآراء، ومن المرجح أن ترتبط في هذا النموذج التقليدي بالقوى المتصارعة والانقسامات داخل المجتمع بشكل يضمن مصالح الجماعات الممثلة لهذه القوى.[58] وهي إذا " وكالات " لفضاء عمومي زائف يعاود استرداد ميراث البرجوازية الكلاسيكية بشكل ناعم بإخضاع تناقضات طبقات المجتمع إلى مساحة تعرضهم للانقسام أكثر مؤديا ذلك إلى خدمة السلطة القائمة.

وبغض النظر عن تورطها في جشع الأرباح تنشأ غالبا علاقة بين مالك وسيلة الإعلام وبين المحرر تخدم الأهداف السياسية مثل الصحافة الحزبية كما كان الأمر سائدا في إنجلترا وفرنسا وألمانية والولايات المتحدة الأمريكية منتصف القرن الثامن عشر، تعتمد على تأثير القوى الاقتصادية – القطاع الخاص – وهيمنة الحكومات – القطاع العام – وتقبع تحت تصرفهم،[59] تؤدي إلى إضعاف الفضاء العمومي من خلال تدفق

[58] Peter Dahlgren and Colin Sparks, **Communication ans Citizenship Journalism and the Public Sphere**, Electronic edition, the Tylor and Francis e-Library, 2005, p29

[59] Jurgen Habermas, **Strukturwandel der Offentlichkeit**, First edition, Suhrkamp , Germany, 1990, p282- 283

المصالح الخاصة لطبقة النبلاء والأرستقراطيين التي تتنافس في توجيه الرأي العام القائم على مجال سياسي مرتبط بالصراعات المكتسبة.

النموذج الراديكالي : تكمن مهام وسائل الإعلام في تصحيح توازن القوى داخل المجتمع وترشيد النقاش الديمقراطي بتصور كامل للمصالح الاجتماعية وتمتد في ذلك إلى جميع المجالات التي يمكن أن تمارس فيها السلطة على الآخرين، وينظر إلى وسائل الإعلام في نهج الراديكالية أنها قنوات تمثيل على سبيل تحقيق المبادرات والأفكار المنبثقة من القاعدة الشعبية تؤمنها التعددية الإعلامية الأكثر شمولا لما هو سياسي ولا تمييز في الراديكالية بين الفضائيين الخاص والعمومي،[60] على العكس من المقاربة الليبيرالية التقليدية التي تفترض أن التوازن وتضارب المصالح لا يمكن التوفيق بينهما.

النموذج الديمقراطي : تستقل وسائل الإعلام عن كافة أشكال الضغط والهيمنة الاقتصادية والسياسية، وهي حجرة الزاوية التي يوليها النموذج أولوية ويشمل هذا المبادئ التي جاءت بعد نهاية الحرب العالمية الثانية نتيجة للتغيرات الهيكلية في الدولة والمجتمع، مثل حرية التعبير والرأي، إشراك جميع المواطنين في النقاش العام، والفضاء العمومي هو المجال المتوسط بين الدولة والمجتمع فيه يمارس التفكير العام والمناقشة الناضجة وتتداول الآراء والتجارب، ويقابله الفضاء الخاص[61] وهو بيئة المهن والأنشطة السياسية والثقافية والحياة الاجتماعية القريبة من الدائرة العامة والرسمية ولكنه لا يتصل معها بالضرورة بشكل مباشر، ويمكن أن يتألف من مجموعة أفراد متعلقة بالعصب أو الانتماء البيولوجي كالأسرة، ونستشف من مساهمة " ايمانويل كانط Immanuel Kant " أن التحرر من سلطة أوصياء الفضاءات على تفكير الأفراد هو أول درجات ملكة النضج العقلي والتنوير المجتمعي، وذلك ما يبدو أنه بحاجة إلى الشجاعة وتولي زمام

[60] Peter Dahlgren and Colin Sparks, **Communication ans Citizenship Journalism and the Public Sphere**, Op.cit, p32 -33

[61] Jurgen Habermas, **Strukturwandel der Offentlichkeit**, Op.cit, p89-90

مبادرة كسر أغلال الاستبداد كلما استدعت حاجة الحرية إلى ذلك.[62] و بقدر هذا الحرص على تعزيز الطابع الديمقراطي للحياة العامة وتوسيع نطاق استخدام العقل يتشكل النموذج الحديث لفلسفة الوعي المنسجمة مع بناء قواعد المعرفة على أساس المجادلة النقدية والتفاوض بشأن الحقيقة.

ويشمل نشوء وتطور التفاعل بين اللغة كسلوك رمزي والتواصل كفعل في سياق العقلانية كما يوجهها " يورغن هابرماس Jürgen Habermas "في المجلد الثاني لمؤلفه " نظرية الفعل التواصلي Theorie des kommunikativen Handelns " بالإشارة إلى افتراضات " جورج هربرت ميد George Herbert Mead " و " إميل دوركهايم Émile Durkheim " المؤدية نحو عمومية الأخلاق وترشيد التفاعل كمحور للتنمية الاجتماعية والثقافية من خلال تأسيس مجتمع عقلاني تتواصل فيه الذات مع العالم الخارجي عبر الالتزام بقواعد السلطة الأخلاقية التي تفرض واجب الامتثال، ولكنه – هابرماس – بادر إلى فصل إكراهات ثنائية – الجزاء والعقاب – " القوة الملزمة للأخلاق " عن مسألة " الوفاء بالالتزام " في وصف عملي أساسه حرية قول " نعم " أو " لا "، ولا يمكن أن يتذرع بأي نفي لادعاء أي متحدث أو أي قول بالصحة إلا ببطلان الحجة دون الإخلال بالطابع الإلزامي لعرضها، وهنا يطرح فكرة اللغة كوسيلة للتفاهم وتنسيق السلوك أبعد من نظرة – ميد – الدلالية التي يمثلها بالتحول الرمزي فيعبر عن " صراخ التنبيه أو طلب المساعدة "كفعل تواصلي يؤدي وظيفة تعبيرية – الخوف – ويمثل إقرارا لـ حالة حرب أو عنف أو فوضى متوقعة، ويدفع المستمعين إلى رد فعل تفاعلي – الاستجابة –[63]، ويعاد توجيه العقلانية عند ولادة الفعل التواصلي في الفضاء المادي " الأماكن والساحات العامة، النوادي والصالونات، .. " أو اللا مادي " النوافذ والمعابر الافتراضية، وسائط التواصل ومحاكاة الواقع، وسائل الإعلام "[64] على أن

[62] Immanuel Kant, " **Beantwortung der Frage:Was ist Aufklärung**?",Berlinische Monatsschrift 04, Königsberg Prussian, 30 September 1784, p481-482

[63] Jürgen Habermas, **Theorie des kommunikativen Handelns**, Band 02,Op.cit, p43-44.p133

[64] Sergey Tyulenev, **Translation In The Public Sphere**, Electronic edition, Palgrave Macmillan, UK, 2018, p04

يقابل بدل " شجاعة الاعتراض " عند كانط " جرأة المناقشة " التي لا تؤدي إلى إثمار الإشاعة أو اللغو بل إلى تكوين – راي عام – مستنير قادر على جمع الناس حوله وكسب الاعتراف.

أدى القلق الدائم من تضاؤل النقاش النقدي واختناق الفضاءات بالأنانية والتسابق نحو المصالح والتضليل إلى تعميق أزمة الفضاء العمومي وتعسر تحقيق التفاهم، وتوقع الباحثون في سبور العلوم الاجتماعية مثل " ماكس هوركهايمر Max Horkheimer " و " ثيودور أدورنو Theodor Adorno " من معهد الأبحاث الاجتماعية الألماني أن حمى الفردانية ستنتقل إلى وسائل الإعلام بتجفيف الأصوات المستلقة والنفخ في كتل سلبية معبئة مسبقا بعلاقات القوة ترمي إلى إعادة إنتاجها،[65] وقد اتضحت ملامح هذه النبوءة في القرنين التاسع عشر والعشرين على وجه الخصوص إذ فقد الرأي العام استقلاليته وبدت الصحف والمجلات والإذاعة والتلفزيون كديوان واحد يجمع على تزكية وتأييد الأنظمة على الرغم من مناداتها بالديمقراطية، واستمرت فرص إفراغ الحريات على واجهاتها الإعلامية في التقلص وكأنها لم تقدم أي بديل عن صحافة الأنظمة الاستبدادية المنتهية، في حين يفضل باحثون معاصرون الانتباه إلى فضائيات التلفزيون المتفوقة عبر العالم في التأثير على السياسات والأشكال الجديدة لثقافة البرامج الحوارية وهم في الجهة النقيضة للنظرة المتشائمة يرون ملامحا للديمقراطية توافق النموذج النقدي للمدرسة الألمانية وتشجع المواطنين على الانضمام إلى نخبة العاقلين الفارين من تشوهات سلطة الدولة وخطابات إعادة التعبئة الرجعية حيث لا ضمان لإرادة حرة في صياغة تفاهم بين الدولة والمجتمع.

ينطلق " بيتر دالغرين Peter Dahlgren " في كتاب " التلفزيون والفضاء العمومي Television and the Public Sphere " مقتربا من تصور أطروحتنا ليجادل بشأن تشكيل التلفزيون للفضاء العمومي من خلال عنصري الاستيعاب والاسترجاع والتجارب المكتسبة من عملية المشاهدة أو ما يطلق

[65] Pauline Johnson, **Habermas Rescuing the Public Sphere**, First edition, by Routledge, USA, 2006, p09-10

عليه "جون كورنر John Corner " – النظرة التلفزيونية – أول خطوة تفاعل لصناعة المعنى السياسي من خلال " التذاوت " وبناء الهوية، وهو يعلق الذاتية بما يدور في أذهان الناس من آراء وقيم ومعرفة ومرجعيات ذات الصلة بالثقافة والأيديولوجيا والممارسات اليومية والعلاقات الاجتماعية تساهم وسائل الإعلام في موازنتها مع الالتزامات العامة وربطها بالهوية والمواطنة.[66] إلى جانب ذلك يتضمن هذا الاعتراف بالصناعة التلفزيونية تجاوز الصورة السمعية البصرية وظيفة محاكاة الواقع – الواقعية – لتشمل التصرف في الوجود الاجتماعي للمجموعات العاقلة والمنسجمة مع بعضها البعض في مناولة إخراج الرأي وتنظيم التصورات، إنه من المعقول أن نتفق نسبيا مع " بيتر دالغرين Peter Dahlgren " على أن التلفزيون هو " مشروع مؤسسة فضاء عمومي " بالتركيز على النماذج الخطابية التي تصنع المعرفة أو نقد المعرفة وكل تلك المقدمات التي تتجه بعيدا عن إثارة العواطف عديمة الجدوى ولذلك فنحن نبتعد عن الدراسات التي لا تفترض عزل رغبة الإنسان في المتعة عن الفطرة والثقافة الشعبية عن الثقافة الجماهيرية المرتبطة بالوسيلة ولا تستقرئ تمييز التأثير من التفاعل، لكن التحليل الهيكلي الذي قدمه بشأن الوظيفة والدور والفعالية الوسائلية للتلفزيون صرف التركيز عن قضية " التلفزيون كفضاء عمومي "، فيذهب إلى مقاربة يبدو مناسبا أن نطلق عليها " تحولات التلفزيون " متجولا في مؤلفه يمثل التلفزيون وسيطا جماهيريا ثم ظاهرة اتصالية رمزية إلى تجربة اجتماعية ثم مؤسسة فضاء عمومي، وهذا ما لم يثمر الإشارة إلى أي من هذه النماذج التلفزيونية جاذبية للاهتمام، وبدرجة أكثر إصابة منا للهدف .. ليس جديرا الجمع بين تلفزيون الوسيط وتلفزيون الفضاء العمومي فالأول وسيلة والثاني غاية وهو محور تصور أطروحتنا وجوهرها.

ينظر المحرر في آخر الجزء الأول Initial Horizons من الكتاب للبرامج الحوارية المتلفزة Talk Shows وبرامج النخبة على أنها " جزء " من الفضاء العمومي " *That such programmes*

[66] Peter Dahlgren, **Television and the Public Sphere Citizenship Democracy and the Media**, Third edition, Sage Publications Ltd, London, 2000, p22-23

should be understood as a part of the Public Sphere"[67]، يجمع المناظرة مع جنس الحديث والمناقشة دون أن يستقر بها كفضاء ينفرد بنظامه الخاص، يعني ذلك وجود استخدام حاد من الناحية النظرية لرؤية " يورغن هابرماس Jürgen Habermas " التقليدية للفضاء العمومي، يجعل الحوار والتفاوض بالمعنى الضيق في المقام الأول لبعث التوازن بين المصالح – الفضاء العمومي البورجوازي – كما يقول " دانيال هالين Daniel Hallin " بينما يدفع الوعي إلى أعلى مستوياته من النقد والعقل والمحاججة في المستوى الثاني وهو واحد من أوجه ضمان " العقلانية التواصلية " [68] التي أغفلها " بيتر دالغرين Peter Dahlgren " وفي هذا يستنزف مفهوم الفضاء العمومي ويفكك حلقات الوصل بين عناصره لتفسير الحوار العام على أنه النموذج المثالي لبناء المعنى السياسي وتشكيل الرأي العام، وعلى العكس من هذا قدمنا في الفصل السابق مأسسة فضاء المناظرة العمومي وأشرنا بوضوح حول مسألة الاختلاف بينها وبين الحديث أو المقابلة التلفزيونية إلا بالقياس إلى النوع الصحفي، كما سنعرج بتفصيل أدق في الملحق الأخير من الأطروحة على واقعية رؤيتنا.

لقد أبرزنا في ضوء هذا فوارق مقاربات فلسفة أخلاقيات التواصل بين أجيال المدرسة النقدية وآخر جيل معاصر " التيار الساخن " في مقال مشترك مع البروفيسور العربي بوعمامة موسوم بعنوان " تفكك الفضاء العمومي – رؤية نقدية –" يناقش اللغط في تداول مصطلح " العمومية " والعهد به إلى مختلف حواضن وفضاءات التواصل الإنسانية لتقمص روحه، فلم يسلم من إطلاقه على الأسواق الشعبية والفلكلور وربما الحانات ونوادي القمار أيضا، وتلك بالنسبة لنا إعادة إنتاج حدباء تماما كما يوجزه " نصر الدين لعياضي " في محرره : *" بالنظر إلى كثرة استخدام مفهوم " الفضاء العمومي " في كل مقام، يبدو أنه اصبح بمثابة كيس*

[67] Peter Dahlgren, **Television and the Public Sphere Citizenship Democracy and the Media**, Op.cit, p62

[68] Daniel C.Hallin, **Television Journalism and the Public Sphere**, Electronic edition, by Taylor and Francis e-Library, 2005, p07-08

يختلف شكله ومحتواه بما يحشى به ***!*** *وهكذا وقع ضحية نجاحه "* [69] ، إن هذا الفضاء لا يؤسسه الحديث والنقاش أو الحوار في نظرنا بل هو ممارسة يحققها " إنسان مستنير " على حد وصف كانط.

إن من التصورات التي تحافظ على دلالة الفضاء العمومي النقدية ما جاء به الباحث نور الدين علوش " هو الفضاء الاجتماعي الذي يعرف تبادلات عقلانية ونقدية بين الذوات (الفردية والجماعية) التي تسعى إلى بلوغ حالة التوافق حول القضايا التي تتصل بالممارسة الديمقراطية "[70].

[69] لعياضي نصر الدين، " **إشكالية الفضاء العمومي والتلفزيون في الدول العربية** "، مجلة الصورة والاتصال، 01، 01، 2012، ص144

[70] نور الدين علوش، " **تحولات الفضاء العمومي في الفلسفة السياسية المعاصرة: من هابرماس إلى نانسي فرايزر** "، المجلة التونسية للدراسات الفلسفية 54-55، 2015/2014 ، ص103-104

أولا : من الفضاء الخاص إلى الفضاء العمومي

From Private Sphere to Public Sphere

لم تكن الخصوصية مألوفة للناس عبر الجرائد أو الإذاعات أو وسائل الإعلام الأخرى إلا مع قدوم التلفزيون، تسللت بداية إلى الأسرة عبر برامج روتين الحياة اليومية التي تصور أنماط العيش المحلية والثقافات المختلفة وترصد الظواهر الإنسانية الغريبة، كان ينظر إلى التصادم مع الحياة المنزلية على أنه معزول وفي غالب الأحوال غير مرحب به، وهي ذات الانطباعات التي يجدها الأفراد عند مناقشة ذلك مع جمهور الشارع المحلي، دفع بفئات إلى منع التلفزيون من ولوج منازلهم لاتهامه بالإغواء وإفساد الأخلاق وبعثرته للأسرة واختراقه لحدودها الأيديولوجية بشكل مقلق على الرغم من جاذبيته، وما إن زاد استيعاب التلفزيون بسرعة لهذه الحدود وانتشرت الفضائيات واصبح بإمكان الجميع انتقاء القنوات المنسجمة مع فضاء العائلة الخاص حتى قل الهجوم على التلفزيون والحذر منه، هنالك أصبح التلفزيون "ملهما " للأسرة بالشعور الدائم بالاطلاع على ما يحدث من تطور في المجتمع، وعلى أساس المصالح المشتركة والمسائل ذات الاهتمام الوطني يعبرون من خلاله خارج حدود الفضاء الخاص وتحديدا عندما يتيح التلفزيون أن يلقي العالم نظرة على أفكارهم وآراءهم باحترام، سرعان ما بدأت تتلاشى الفوارق الزمانية بين الفضائين " غرفة المعيشة / العالم " وارتفع اهتمام الفرد من المشاهدة الانعكاسية إلى التفاعل المتزامن أو "المباشر " حتى عمل التلفزيون كامتداد للجسد ليمنح إحساسا بتواجده هناك في قلب الحدث.

يجب أن لا نتجاهل الجماعات الفرعية الأخرى للمجتمع، الطبقات والدوائر الاجتماعية الثقافية والسياسية التي تتمتع بإرادة المشاركة في النقاش العام الوطني أو الدولي، فالتلفزيون ليس مفاضلة أسرية بل نظاما للجماهير الواسعة ومن أجل ذلك جُعلت الفضائيات المتخصصة والبرامج المتنوعة، لكن يحتمل أن

لا يكون مرغوبا فيه إنّ استخدم في التلاعب واستمالة العواطف والدعاية المغرضة والعنصرية والعنف ولذلك يحاول المجتمع الفرعي أن يحافظ على تلفزيون لا يتعارض مع التقاليد العرفية والقواعد الأخلاقية الشعبية أو الدين ومع هذا فان بناء تلفزيون الفضاء العمومي ينطوي على " التكامل " أي تمثيل التنوع والمعارضة وإلا فإن عملية الهيمنة الأحادية والسيطرة على الرأي العام ستحد بالفعل من انفتاح التلفزيون وتؤدي به إلى مجرد مشروع فاشل وفضاء زائف، ومن عواقب ذلك تدهور الوجدان العام وتهديد التماسك الضامن للعيش في توافق وموثوقية، وغالبا ما يمتد التقصير في استيعاب جميع الأصوات والأفكار بالتساوي إلى تغذية مشاعر " اللاّ انتماء " فقدرة التلفزيون على التلقين والتواصل العاطفي لا تقتصر على التدفق الدرامي " الحزن، الانبهار، .. " إنما تساهم في تشكيل الانطباعات الكفيلة بتوجيه الهوية والانتقال من شخصية متحمسة للجماعة منفصلة عنها أو العكس كاستجابة لعدم القدرة على الانضمام إلى النقاش العام أو الانزعاج منه.

من أجل هذا انطلق المجلس العالمي للإذاعة والتلفزيون في طرح مبادئ تحرص على انسجام الفضاءات الخاصة بالعمومية هي، – شمولية تمكين جميع المواطنين من الوصول إلى البرامج على أن تكون " شعبية " و" ديمقراطية " بمعنى " المنتدى العمومي " الذي لا يجب أن يحتكر من الأقلية، – تنوع البرامج والجماهير والمواضيع المعالجة والاستجابة لمختلف النقاشات، – الاستقلالية من الضغوط التجارية والسياسية وحرية تداول الأخبار والآراء والنقد حتى لا تفقد ثقة الجماهير، – التميز في نوعية البرامج والانفراد في ابتكار أساليب معالجة جديدة .[71]

[71] " **الهيئات العامة للإذاعة والتلفزيون لماذا وكيف ؟** " تقرير صادر عن المجلس العالمي للإذاعة والتلفزيون، مرجع سابق.ص12-13-14

من المثير للاهتمام في مأسسة تلفزيون الفضاء العمومي هو ذوبان الفضاءات الخاصة المتعددة وانسجامها داخل نظامه من خلال محو الحدود بين الفضاء العمومي والخاص، ولكن في نفس الوقت عدم ممارسة أية وصاية على الحقيقة، إن هذا التمثيل لا يهدف سوى إلى توسيع المشاركة في مناقشة القضايا الحاسمة والمركزية في الحياة الجماعية وضمان مساءلة السلطة، تسمح هذه التعبئة بتوزيع السلطة في المجتمع الديمقراطي وجعل المسؤولية الاجتماعية في أوقات الأزمات مشتركة ودستورية عندما تدفع العلاقة بين التلفزيون والسلطة إلى وثوق الجماهير على أنها رسمية – التلفزيونات الحكومية.

في سياق ذلك جاءت دراسة " فيكتروياكنيغت Victoria Knight " " جهاز التحكم – تلفزيون في السجن " لتسبر وتوثق ديناميات التلفزيون في المجال المادي المغلق " السجن " وهذا يسمح لنا بإسقاط الضوء على التفاعلات التي يحدثها التلفزيون داخل الدوائر الأكثر انعزالا عن الحياة العمومية في العالم، وقد نحاول بذلك الإجابة على التساؤل : هل بالفعل يمكن أن يتجاوز التلفزيون الفضاء الخاص، وكيف يفاوض التلفزيون في أثناء ذلك ؟

من خلال الاعتماد على فرضية أن السجناء نشطاء وغير سلبيين يفي التلفزيون بإشباع رغبتهم في التواصل مع الخارج المنفصلين عنه جسديا فهم مقيدون بنظام لا يسمح لهم الوصول إلى بيئة الواقع الاجتماعي بأبعاده المكانية والزمانية خارج النطاق المحلي للسجن، وتحيط الدراسة بمفهوم " التحكم " وهو السيطرة التي يفرضها التلفزيون على النزلاء الذين يبدون رغبة في الحصول على شاشة تلفاز مقابل تحسين سلوكهم كامتياز مكتسب وليس حق، وقد أجرت الباحثة عددا من المقابلات داخل السجن مع افردا خلية الدراسة.

يقول أحد السجناء " يأخذك التلفزيون إلى أماكن مختلفة مثل الغابات والصحاري، لم يكن باستطاعتي الذهاب إليها "، توافق الباحثة فرضية كبسولة التلفزيوني التي تسافر بالفضاء الخاص إلى الفضاء العمومي وتختصر الفضاء العمومي إلى داخل الفضاء الخاص، وتقول أن تجربته داخل السجن جعلت الحياة العامة ممتدة إلى ما وراء حدوده في حين أن تلك الحدود والقيود لا تسمح بالمشاركة فيها، ويقول سجين في مقابلة أخرى " لقد أوضح لي التلفزيون عبارات جديدة على سبيل المثال " أزمة الائتمان " إنها مفيدة للغاية "[72] تبين في أجزاء من المقابلات التي أجريت أن فعل " المشاهدة " لا يتصل في الغالب مع دافع " تعويض الحرمان والاغتراب " لدى السجناء، وقد قدمت دراسة " فيكتروريا كنيغت Victoria Knight " منظورا فريدا عن أنواع العلاقات التي يقيمها الأفراد داخل الفضاء الخاص في وجود التلفزيون كنموذج من أشكال " السيطرة الوظيفية " أو " القوة الناعمة " فهو أكثر مما ذكرنا يعزز شرعية المؤسسات داخل الفضاء بمرونة من خلال التفاوض على الأعراف الرسمية وغير الرسمية وهذا يشير إلى أن التفاهم لا تصنعه العلاقات الاجتماعية بل يمتد إلى ابعد من " وجه مقابل وجه " مثلما تقمص التلفزيون دور المعلم و المؤطر البارع للفضاء الخاص ونافس منظمات التنشئة مثل المدرسة هذا إذا ما قارنا التدفق الذكي للمعلومات مع أساليب التعليم التقليدية، علاوة على أنه مصدر رئيسي للمعلومة المتعلقة بقضايا القانون والنظام.

إن للأفراد إرادة ليصبحوا جزءا من المشهد العام ويشركوا انفسهم في الحياة العامة والخاصة للآخرين سواء كان ذلك نتيجة لانبهارهم بتفاصيلها أو لتطلعهم إلى التأثير فيها كمشاهير محاصرين بالاهتمام أو افراد يحبون أن يتورطوا في الحياة السياسية إذ تؤخذ في الاعتبار " الشخصية المتجانسة " على أنها أقرب من " الشخصية المستنيرة " التي تتألف من تحدي الخصوصية واحتدام العقل بالواقع وتداول الأفكار بحرية دون ارتكاب أي عنف أو استخدام وسائل إذعان مادية أو نفسية لإنتاج الظلم الاجتماعي وعدم المساواة أي

[72] Victoria Knight, **Remote Control Television in Prison**, First edition, Palgrave Macmillan, UK, 2016, p166.p169

كل ما يعتبر آلية سببية تعترض التفاهم بين الفضاء الخاص والعمومي، .. ويجب هنا أن لا تتجاوز القدرة على صنع الاختلاف في الشعور بالخصوصية والانفراد بالذات عن الآخرين.

ثانيا : تلفزيون الأقليات ... تجاوز القيود ... Minorities' Television

Transgression of Restrictions

في أحيان تكون اللغة كفيلة بتحديد الهوية والعرق، ولكن في أنحاء من العالم هناك قواعد أخرى ومعايير عضوية تقدم الأقليات بشكل مختلف على حسب التنوع ووجود الانقسامات، فالحركات الفكرية والسياسية والهويات المحلية أصبح لها تصنيفات داخل العرق الواحد وقد تدمج طوائف مختلفة في هوية واحدة، ويتشارك جميعها في رغبة " حق الوصول " إلى تقليص الفوارق بينها وبين جماعة الأغلبية، ويطلق عليهم أيضا " الأقلية المضطهدة أو المهمشة " كما يلازم في دول مصطلح " الأقلية المهاجرة " المختلطة أو المتعددة ويقابل ذلك " السكان الأصليون " كغجر روما أو زنوج أمريكا أو مفرد " الشعوب الأصلية " وهي الشعوب المنحدرة من السكان الذين كانوا يقطنون بلدا أو إقليما جغرافيا وقت غزو الاستعمار أو ترسيم حدود الدولة، مثل الأكراد أو كرد آسيا، تحتفظ بنُظمها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، و" الشعوب القبلية " هي مجموعات تمتاز عن المجتمع الوطني جزءا أو كلا بالعادات والتقاليد والأعراف التنظيمية،[73] و" الأقلية العرقية " كما تعرفها الأمم المتحدة هي : *" مجموعة تشكل اقليه عددية من مواطني الدولة غير المهيمنة تتمتع بمكانة عرقية أو دينية أو خصائص لغوية تختلف عن غالبية السكان، يملكون الشعور بالتضامن فيما بينهم، كما أن لديهم دوافع للبقاء وتحقيق المساواة مع تلك الأغلبية في الحياة اليومية والتشريعات والقوانين* "[74]، ويتألف العرق كمحور أساسي في دراسات الأقليات من ثلاثة مناهج رئيسية هي – الإثنية القومية: تتوافق الجماعات العرقية مع مصلحة الأمة، الإثنية الإقليمية : تتطلع الجماعات إلى الصراع مع سلطة الدولة القومية لأجل الحكم الذاتي المحلي الإقليمي أو للاستقلال والانفصال، الإثنية الدينية : تفترض

[73] " **الشعوب الأصلية ومنظومة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان** " صحيفة الوقائع رقم 09 الأمم المتحدة، نيويورك وجنيف 2013، ص02

[74] Valeria Alia And Simoune Bull, **Media and Ethnic Minorities**, Edition not mentioned, Edinburgh University Press Ltd, UK, 2005, p02

تداخلا للهوية والوعي الديني مع سمات العرق كالأصل المشترك، أو الثقافة أو اللغة"[75] أو" الإثنو ثقافي " ذات العرق المشترك القائم على الدين أو/ و اللغة، وقد تجمع الاثنية الدينية الاثنية القومية والإقليمية وهنا يتعلق معظم افرد الأقليات بسردية ذاتية خاصة مأخوذة من الثقافة أو الدين والمخزون المعرفي للبيئة، وهو ما نطلق عليه في سياق هذا الفصل " هوية الأقلية " كالإسلام في أوروبا وأمريكا وكاليهودية والمسيحية في شمال إفريقيا والخليج العربي، وبشكل مبدئي تشير " هوية الأقلية " إلى الذات الفريدة المرنة مع الشخصية الجماعية المتصورة في دائرة إدراك عاطفية واجتماعية تضمن وحدتها وامتيازها وتؤلف مشاعر الانتماء لها وقد يتصل مفهوم " الأقلية " بمجموعة مستقلة قائمة على أساس الجنس " رجل / امرأة " أو أفكار تحرر وانعتاق إلى ممارسة محرمات المجتمع كالشذوذ أو مناصرة أيديولوجية أو مصالح منفصلة عن أي صراع قائم في المجتمع.

من سمات المجتمع الحديث ودولة الرفاه الاعتراف بالشعوب الأصلية ورعاية حقوق الأقليات وإذابة الفروق بينها وبين الكتل الوطنية أو الإقليمية في الحياة الاجتماعية والسياسية، الاقتصادية والثقافية حتى يؤهلها ذلك إلى " اقليه نموذجية " منافسة للتعددية في الحرية والمساواة والمشاركة الديمقراطية هذا من الدرجة الأولى، ومن الدرجة الثانية أداء الواجب الأخلاقي بالحفاظ على امتيازاتها للحق في الاتصال والتوغل في مناقشة السياسات وتوفير العناصر والمؤسسات التي من المحتمل أن تجهد في اعتراض المفارقات والمخاوف التي تشكك فيها الأقلية من أنها ماتزال قائمة.

بان " الإعلام الإثني " مبكرا من خلال توسيع استخدام اللغات في وسائل الإعلام حتى يتمكن الجميع من الوصول إلى محتوى متعدد الأعراق ومواجهة التهميش والعنصرية، وقد أجريت في واحد من المشاريع البحثية المهتمة بالعرق ووسائل الإعلام دراسة تحليلية كشفت عن تناول متكرر وتصوير ملازم للسكان

[75] Ofra Bengio and Gabriel Ben-Dor," **Minorities and the States in the arab World "**, Lynne Rienner Publishers, Inc.1999, p04

الأصليين في أستراليا على أنهم مصدر للصراع وتهديد للنظام،[76] ذات الأهداف اتجهت إليها وسائل إعلام في الجزائر عند توظيفها لمسألة " ثمازغا " للإشارة إلى الدعاوي الانفصالية للمجتمع الأمازيغي وإتهام يقظتهم السياسية بالقومية التخريبية والتطرف وتبنيها للعصيان مع كل مرحلة سياسية تظهر فيها ملامح استمالة منطقة القبائل الكبرى لإعادة توطين النظام القائم منذ التحرير 1962، ومع قيام حراك 22 شباط/ فبراير 2019 ظهرت توجهات إعلامية حكومية وغير حكومية تعاملت مع رفع العلم الأمازيغي كخيانة وطنية في حين قدمته وسائل الاعلام قبل ذلك التاريخ ولوقت طويل كرمز ثقافي لم يكن ليمس بقيم وثوابت الأمة والدولة، يظهر جليا كيف يحفز التوصيف السلبي الأقليات على البحث عن منافذ إعلامية ذاتية التمويل أو مسترشدة بالديمقراطية التمثيلية والتي تشكل تحديا راسخا لأنظمة دول شمال إفريقيا والشرق الأوسط ومصدر قلق دائم لشرعية السلطة السياسية وقدرتها على دحر موحيات الخطر الداخلي، وفي حالات الاستفزاز الإعلامي المباشر لمشاعر الأقليات تتقمص عواطف الانتماء العنف ويكون لذلك أثر كبير على أمن وسلامة الأقلية، قد يؤدي إلى وضع الحدود بينها وبين الدولة تصل إلى تشديد النظر في طلبات اللجوء، في هولندا عام 2004 نادى المجتمع الوطني بخطر المد الإسلامي في أوروبا بعد مقتل مخرج فيلم – الخضوع SUBMISSION– " ثيو فان غوج Theo Van Gogh " على يد مسلم، بُثّ الفيلم على محطة هولندية وأثار جدلا وسط الأقلية المسلمة على خلفية تصويره الخادش للمرأة المسلمة، وتسبب ذلك في انتهاك الضمانات الدولية بشأن عدم المساس بالمعتقد بذريعة حرية التعبير والحد من العنف المتلفز ضده .

[76] John Budarich and Gil-Soo Han, **Minorities and Media**, Electronic edition, by Palgrave Macmillan, UK, 2017, p109

صورة شاشة – فيديو متلفز على قناة APTN
حلقة للإنويت تناقش حادثة عنصرية

مع الإثمار التكنولوجي الواسع في بيئة الأقمار الاصطناعية منذ ما يزيد عن ثلاثة عقود أنشأت الشعوب الأصلية مشاريعا إعلامية خاصة داخل الحدود الجغرافية للدولة الوطنية وخارجها، وجعلتها بديلة عن الاحتكارات المحلية للأصوات وأخبارهم غير المرحب بها، بما في ذلك الموسيقى والثقافة والأدب والسياسية، وكانت APTN أول شبكة بث تلفزيونية تديرها اقليه في العالم كما هو مرجح، يعود أول ظهور لها عام 1999 في كندا أسسها السكان الأصليون " الإنويت The Inuit " تقدم برامجا باللغة الأم إضافة إلى الإنجليزية والفرنسية،[77] وعادة ما يتصل مضمونها بمساعي التغلب على حواجز اللغة وتهميش وسائل الإعلام سواء بعرض قضايا محاربة التمييز العنصري أو متابعة خروج مجتمع " الإنويت " للتظاهر ومناهضة التعرض للانتهاكات السياسية والمجتمعية، كما تبث عبرها الحلقات المنظمة في الساحات العمومية قصد سرد الحقائق ومناقشتها علنا، وقد تحولت المحطة إلى نافذة يطل عبرها العالم على الحقيقة تزامنا مع موجة الغضب التي اجتاحت كندا منصف عام 2021 بعد اكتشاف رفات أطفال من أبناء السكان الأصليين في مقبرة جماعية داخل مدارس كنسية راحوا ضحية جرائم التطهير العرقي.

تعد تركيا واحدة من بين دول العالم الأكثر نموا في مجال الصناعة التلفزيونية، وإضافة إلى كونها تستقطب شركات الإنتاج والتلفزيونات المعارضة مثل قناة " وطن " و " مكملين " المناهضتين للنظام في مصر وقناة " سوريا تي في Syria TV" المواءمة للثورة السورية ضد ديكتاتورية الحكم، فإنها تدعم تأسيس المشاريع التلفزيونية العرقية والاثنية في النطاق الوطني وبرامج الفضاء العمومي التلفزيونية الحوارية مثل " الساحة

[77] Valeria Alia And Simoune Bull, **Media and Ethnic Minorities**, Op.cit, p93

السياسية Siyaset Meydani " الذي تشارك في نقاشاته المفتوحة نخب الأقليات، ولكن لم يمنع هذا تركيا من ممارسة ازدواجية قياسا مع محاولاتها حظر القنوات المعارضة للسلطة ومضايقتها دوليا ونذكر منها قناة " ميد تي في MED TV " الكردية التي تنتج وتبث برامجها من عواصم أوروبية حيث سلكت تركيا سياسة ملاحقتها منذ 1995 لوقف نشاطها بسبب إثارتها للمزيج الانفصالي الكردي وعلاقتها بحزب العمال الكردستاني.[78]

تبدو الديمقراطيات في بعض الدول متناغمة مع التعددية الإعلامية للأقليات باعتبارهم طموحين للشمولية والمشاركة في الطيف السياسي الموسع لنطاق الفضاء العمومي، هذا النموذج يتجاهل شروط المشاركة الأخرى المتعلقة بالإشراك الكامل في الحياة السياسية خوفا من مأزق احتمال الوصول إلى السلطة أو تؤدي التعددية إلى تصاعد الخلافات العقائدية كما يعرف العالم اليوم الحركات الإسلامية الجهادية التي تخوض حروبا ضد الجيوش النظامية وتحمل شعار " لا دولة غير دولة الإسلام "، وظفت التلفزيون كسلاح للوصول إلى تحقيق أهداف الدعاية والتعبئة من خلال استدراج انتباه الصحافة إلى العمليات المسلحة كاستخدام غير مباشر للتلفزيون " إن انفجار قنبلة يلفت الناس أكثر من مئات الخطب " الأسلوب نفسه يفسر رغبة المتطرفين في الوصول إلى الجماهير، قال " تيموثي جامس ماكفاي Timothy James Mcveigh " منفذ عملية تفجير المبنى الفيديرالي بمدينة أوكلاهوما - الولايات المتحدة الأمريكية، ابريل / نيسان 1995 - " اخترت الموقع للتفجير لأنه يتيح لأكبر عدد من رجال الصحافة تغطية الحدث "[79] وحيث تتحالف الأصولية ضد العقلانية تتحول الحرية إلى مشروع يقوض أية محاولة لإنقاذ الفضاء العمومي التلفزيوني من السيطرة، ويؤول ذلك إلى انطفاء دور الجماهير النقدي لتتحول إلى حسم الدفاع الجماعي على الديمقراطية وإن كان ذلك على حساب شتات الأقليات.

---

[78] Dale F.Eickelman and Jon W.Anderson, **New Media in the Muslim World the Emerging Public Sphere**, Second edition, Indiana University Press, USA, 2003, p181-182

[79] أديب خضور، **الإعلام والإرهاب التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية الخبرة العالمية**، ب ط، المكتبة الإعلامية، دمشق، 2009، ص16-17

إن مبدأ الاستفادة من الفضاء التلفزيوني لربط الحدود مع الدولة القومية لم يكن في البداية موضوعا ناشئا عن المنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي، بل شكلته المصالح والأيديولوجيات والظواهر السياسية التي تتبع تهديد الأقليات بانتحال هويتها وتمثيلها في البرلمانات والفضاءات السياسية للإجهاز على مصيرها بين الأمم من غير إذن أو صكوك انتخابات شرعية، ويقدم التلفزيون للأقليات خدمة " الرد " على القوى المؤثرة في النقاش العام وتفنيد الأخبار السلبية والمضللة، يبث خطابات مندوبيها إلى الحكومات وتمارس عبره الحماية الإعلامية من اضمحلال ثقافتها مع عجز الديمقراطية على تأمين فضاء عمومي ذو تأسيس جماعي خال من تقاليد إعلام تستولي فيه سلطة الدولة على المناقشات كشكل من أشكال العنصرية العلنية، من بين التوقعات المثالية لتلفزيون الأقليات : – إحياء المشاعر العرقية والتوسع في التفاهم بين الخاص والعمومي – الانفتاح على الاثنية كحقيقة سياسية عقلانية وثقافية – تنمية الجماعات الصغرى وتعزيز الشمولية الاثنية – التغلب على اللاَّ اعتراف والكيانات العنصرية – توسعة الحدود الاثنية الجغرافية الرمزية وبناء مستقبلها المنشود.

ثالثا : فضاء ما بعد القوميات الوطنية Post-National Sphere

توقع عمدة الجيل الأول للمدرسة النقدية الألمانية " ماكس هوركهايمر Max Horkheimer "

و " ثيودور أدورنو Theodor Adorno " أن يبني الاستثمار في وسائل الإعلام جمهورا مختلفا عن أفراد الفضاءات الخاصة المعزولين وان كانوا قادرين على الجدال والنقاش العقلاني، ويجعلهم ذلك مستهلكين سلبيين لمضامين جاهزة تهدف إلى إعادة استنساخ علاقات القوة[80]، بالفعل إن الحملات الترويجية وأشكال المحتوى المرتبطة بصراعات العجز الديمقراطي قللت من هوية الجمهور كمواطنين نشطين وتلاشى دورهم في التدقيق النقدي، علاوة على ذلك ساعد تآكل الخصائص الجوهرية للفضاء العمومي وتهميش تغطية ومناقشة الأفكار على ولادة " مسوخ " من المستهلكين والمتفرجين في المشهد الإعلامي وأصبح هذا يشكل جزءا من التحولات الأخيرة في تلفزيون الفضاء العمومي.

إن تداول أنماط الحياة عالية الاستهلاك والملذات السلعية ليس بالضرورة أن يدفعنا نحو حلول لمشكلاتنا الإنسانية اليومية بل يزيد من تكلفة الإغراء وتتصاعد المنافسة في وسائل الإعلام من اجل الظفر بالمشهد الأزمة نفسها تتعرض لمجالات الحياة المتعلقة بالممارسة السياسية" تسليع السياسة "، ويعد التلفزيون من ضمن تلك المنظومات الأكثر قوة ونفوذا في صناعة البنى الإعلامية التحتية الاقتصادية والسياسية، ولكن بدلا من أن يخاطَب المشاهدون كمواطنين يتم استهداف فرص دخولهم في مناقشة الخيارات والحجر على النقاش ليصبح ممارسة هامشية بين الجماهير بحجة أن التلفزيون قادر على أن يأخذ بزمام الرأي العام في كل مرة يشكله وينعطف به كيفما شاء ويحشده في رقعة واحدة إلى أن يستغني المواطنون عن استرداده، إن النموذج البرجوازي والليبرالي لتلفزيون الفضاء العمومي يتطلب من الدول صرف نظر مواطنيها عن

[80] Pauline Johnson, **Habermas Rescuing the Public Sphere**, Op.cit, p09-10

المداولات التي تجري في تلفزيونات الشبكات العالمية العابرة للحدود، لقد قاوم التوسع العالمي لتلفزيون الساتل احتكار الليبيراليات الكلاسيكية المحلية لتدفق المعلومات في العديد من البلدان التي تعرف بحظر نشر الآراء المخالفة ووجهات النظر المعارضة للبيئة السياسية وكل ما من شأنه إضعاف سيطرتها على السلطة وفرضت خدمات البث تقاليدا تحريرية ملاءمة للتعددية والتنوع كجزء من النظام الدولي الإعلامي الجديد معدة لمقاصد الديمقراطية وتحول السلطة المجتمعية إلى قوة سياسية، إلا أن " الأمركة " وهيمنة القوى المحركة للصناعة والاقتصاد العالمي أوحت مرة أخرى إلى عودة تطبيع المصالح الاستراتيجية وتوجيه الرأي العام الدولي بما في ذلك تنامي مخاوف التأثير على سياسات الحكومات عبر نطاق البث الخارجي ذو التمويل الحر والوصاية الأجنبية، ومس هذا بالخصوص تلك غير المؤهلة بما يكفي للتحول إلى فضاء عمومي تلفزيوني أساسه الحوار المفتوح وحرية المساءلة والنقد، سيطرت شبكتا " سي ان ان CNN " الأمريكية وخدمة " بي بي سي BBC World Service " البريطانية لعقد من الزمن إلى غاية منتصف تسعينيات القرن العشرين .. قبل أن تمتد النزعة إلى روسيا والصين وفرنسا وألمانيا وتطلق بدورها شبكات تبث البرامج والأخبار بلغات العالم ويفسح المجال أكثر لنموذج فضاء عمومي تلفزيوني دولي بديل عن الفضاءات الخطية وفضاءات الخصوصية وتلفزيون المستهلك، ساعدت هذه العوامل قاعات التحرير المستقلة على التوطن في معظم عواصم الدول وتمكين الرأي العام من الوصول السريع إلى الأحداث وممارسة رقابة على الدول اعتمد على التلفزيون في بناء قضايا التضامن الدولية وإعادة صياغة تطلعات الشعوب خارج الحدود الجغرافية والأطر الإيديولوجية التقليدية القمعية حتى أطلق البعض على المرحلة المعاصرة "عصر سياسة التلفزيون".

يذهب " جاي بلومر Jay Blumler " و " دينيس كافاناخ Dennis Kavanagh " في سرد تحولات دمقرطة التواصل السياسي إلى تحديد ثلاث مراحل طفى التلفزيون في أهمها :

- **أ** : العصر الذهبي للأحزاب .. خلال أول العقدين بعد الحرب العالمية الثانية كانت المؤسسات السياسية مستقرة وقوية تمثل مصدر نقاشات الإصلاح الاجتماعي، عززت مرونة وصول الشخصيات القيادية الحزبية إلى وسائل الإعلام الولاء الشعبي في السلوك الانتخابي والاستجابة للرسائل السياسية.
- **ب** : سيطر التلفزيون مع بداية الستينيات على بيئة التواصل السياسي خلال التدفق الكثيف للمعلومات نحو دائرة الناخبين والمتابعة الإعلامية لإخفاقات الحكومات ونجاحاتها، قابل ذلك الدعاية الحزبية الانتقائية في التعرض للرسائل والحملات السياسية خاصة مع انفتاخ مناخ الرأي والمناقشات أمام المواطنين الأكثر اطلاعا .
- **ج** : تتسم المرحلة المعاصرة بوفرة وسائط الاتصال وانتشار وسائل ونظم الإعلام على نطاق واسع تشملها الفضائيات المتنافسة في احتراف مهارات الخطاب السياسي، نظام اتصال أكثر وفرة من المراحل السابقة ولكنه مجزأ وما يميزه أكثر هو " امتداد الفضاءات " واستيعاب الديمقراطيات للاتصال كجزء لا يتجزأ من الممارسة السياسية[81]، وحتى الآن تتبع القنوات أجندة إخبارية عامة تتجاوز نهج الشؤون المحلية والتركيز على الحركات الاجتماعية الرئيسية والوطنية في ضوء حتمية المنافسة العابرة للحدود المتزايدة للمحطات الدولية وشبكات البث في مقدمتها المملوكة من دول العالم الأول، من الجانب الآخر فإن توسع ضمانات النقاش الحر عبر الأشكال البرامجية الحوارية وبروز ثقافة الاستديو

[81] Jay G.Blumler and Dennis Kavanagh " **The Third Age of Political Communication : Influences anf Features**", Political Communication, 16-03, 1999, p211.p214

تشير إلى مرابطة جماهيرية في توجيه المساءلات إلى المجالس السياسية وأولئك الموجودين في السلطة وتشكل هموم المساءلة عنصرا أساسيا في الاعتراض على فكرة الجماهير المستهلكة " السلبية ".

في عصر التلفزيون بامتياز أيقظت تغطية الحرب على العراق 2003 الانقسامات داخل اللفيف القومي الأوروبي، آنذاك ظهرت الولايات المتحدة الأمريكية بشكل أساسي كقوة دفاع عن السلام في سياق الدعاية للغزو على أنه " عملية تحرير للعراق " وحماية استقرار العالم من محور الشر الجرثومي والنووي " صدام حسين " وجرى اتباع أجندة لعرض هذه المخاوف على الراي العام الدولي حتى تجلب مؤازرة الشعوب للحملة العسكرية، ولم يكن غير التلفزيون الوسيلة التي من المرجح أن تحقق ذلك التأييد المرجو .

" ديك تشيني Dick Cheney " نائب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية على NBC : " سعى صدام حسين للحصول على أنابيب لتصنيع أسطوانات الطرد المركزي ".

" دونالد رامسفيلد Donald Rumsfeld " وزير الدفاع الأمريكي على CBS : " لا يمكن التحقق من امتلاك ديكتاتور ما السلاح النووي إلا إذا استخدمه بالفعل، عندئذ يكون الوقت قد تأخر للتصرف".

" *بدأت القوات الأمريكية ومعها قوات التحالف أولى العمليات العسكرية لنزع أسلحة العراق وتحرير شعبه والدفاع عن العالم من خطر كبير .. أكثر من 35 دولة تقدما لنا الدعم* " من خطاب " جورج والكر بوش George Walker Bush " الرئيس الأمريكي من البيت الأبيض – تناقلته معظم المحطات الدولية .

في أيام الاجتياح المبكرة لفتت قناة الجزيرة القطرية Al Jazeera Channel انتباه العالم نحو مشاهد غارات التحالف على الأحياء المدنية الآهلة وجثث العراقيين " *الدبابات الأمريكية تتوغل في بغداد وتشارك في قصف مباني حكومية وأحياء مدنية* " جاء هذا في تقرير إخباري بثّته الجزيرة عن سقوط بغداد.

كان ذلك صعبا على بريطانيا إزاء انعكاس ما اصبح ينظر إليه كجرائم حرب وانتهاكا للقانون الدولي على مواقف الدول التي تأخرت في الانضمام للاتحاد الأوروبي إلى جانب الصداع الداخلي لمخاوف الدول الأعضاء المناهضة للحرب كفرنسا وألمانيا التي وجدت الحرب أسوء الحلول للأزمة العراقية وهو ما أدى إلى إثارة نقاش إقليمي حول تداعيات غياب " موقف مشترك " على مستقبل توسع الاتحاد الأوروبي،[82] في الثامن من أبريل 2003 قصف سلاح الطيران مكتب الجزيرة وظهر مراسلها " ديار العمري " معلقا على مقتل زميله " طارق أيوب " : " *البحث عن مكان امن اصبح أمرا صعبا فلم تعد الطائرات الأمريكية والبريطانية تفرق بين احد، الكل هنا معرض أن تطاله القذائف في أية لحظة* "، سرعان ما بدأت المرحلة الثانية من موجة الغضب وأفاق العالم على توسع عدوى التظاهر والانشقاقات السياسية داخل البرلمانات الوطنية في الاتحاد الأوروبي، فشلت خطابات قادة دول التحالف المتلفزة في محاولات إضفاء الشرعية وتهدئة المظاهرات المشتعلة في شوارع لندن الحليف الأكثر وفاء لواشنطن وعواصم أوروبية مثل روما وباريس وبرلين ومع تواتر أخبار تصفية المجندين من التحالف أدى ذلك إلى خروج مئات الآلاف من المواطنين الأمريكيين يحملون لافتات كتب عليها " أوقفوا العنصرية، أوقفوا الحرب " في مظاهرات حاشدة لرفض كافة أشكال العدوان المسلح في آسيا والخليج العربي وتنامي دعم الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، كان ذلك بمثابة عاصفة ألزمت الصحافة العالمية الاختيار بين الصمت أو الائتلاف مع الشعوب.

[82] Anna Triandfyllidou and Ruth Wodak and Michal Krzyanowski, **The European Public Sphere and The Media Europ in Crisis**, First edition, Palgrave Macmillan, UK, 2009, p233

وضع تلفزيون الفضاء العمومي البرامج الحوارية للمحطات البريطانية والأمريكية في منعطف بهامش حرية ونقد أوسع وأكثر جاذبية، عام 2005 على القناة الخامسة Channel 5 في مقرها بلندن واجه الكاتب والمذيع " نيل كوبيندال Neil Coppendale " رئيس وزراء بريطانيا " توني بلير Tony Blair " قائلا : " *كيف لم يبد لكم واضحا عند غزوكم للعراق أنه لاوجود لأسلحة الدمار الشامل هناك؟ وإذا كنت تعرف حقيقة أن مئات الآلاف من أرواح الرجال والنساء والأطفال الأبرياء التي أزهقت كانت نتيجة لغزو العراق .. أخبرنا كيف يمكنك النوم ليلا ؟* "، جذّف " توني بلير Tony Blair " في إجابته بعيدا عن الردود المباشرة والواضحة وعاد إلى تكرار إلقاء رواية الولايات المتحدة الأمريكية بشأن مسوغات الحرب، أوقعه هذا في حرج إلى أن أسدل البرنامج دون أن يتسنى له تقديم مبررات وحجج تعكس الجوانب المختلفة للأزمة مما أدى إلى عودة النقاش العمومي بشأن التفريط في احترام الحلف بقيادة بريطانيا للعهود الدولية.

صورة شاشة – برنامج Talk to the Prime Minister
حوار بين صحفي وتوني بلير

دفعت الرواية العربية والبرامج الحوارية ومعرض صور ملاحم الدم والمقابر الجماعية وتعذيب العراقيين في سجن " أبوغريب " والبث غير المنقطع لمشاهد العنف الرأي العام إلى توحيد الموقف على مدار سنوات متعاقبة واستنساخ التعاطف مع القضية الفلسطينية في القضية العراقية، قال الرئيس الليبي " معمر القذافي " في كلمة نقلتها قناة الجزيرة Al Jazeera عبر البث الحي من اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة 2009 " لقد رأى العالم كيف تمت معاملة سجناء الحرب في العراق !".

عندما تكون أوجه التناقض والاختلاف في حد ذاتها محطة للوصول إلى نشوء الفضاء العمومي تُفقد الحجّة ويتحول التعاطف مع الأنظمة إلى الانتقاد، وبالكاد تكون المشاركة عبر الحضور المباشر للجمهور في قلب الحدث مسيطرة على مواقفه خاصة في أوقات الأزمات، وبإعادة التفاوض على المواقف السياسية عبر " التذاوت "كما يصفه " يورغن هابرماس Jürgen Habermas " يتجاوز التلفزيون براعته الإرسالية نحو خطاب إعادة بناء الديمقراطية من جديد، ويتجلى مرة أخرى أن استراتيجية إجبار الناس على التفاوض على الطريقة الفردية أو الجماعية عبر التلفزيون يقرر مصير الملايين من آراء الجماهير غير المتعاطفة مع القضايا محل العرض، وتُكافئ الجماهير أولئك المراسلين والصحفيين، التلفزيونات، جماهير الاستديو على شجاعتهم في التكلم وفضح الخداع والمراوغة، ويحقق المواطن بفضل هذا نموذجا مثاليا في بناء تصور " للحقيقة " بعيدا عن الفردانية والذاتية كونه مشاركا نشطا في تشكيل التأثير بل وجزء لا يتجزأ من مشهده.

.

الفصل التطبيقي: مقاربة تحليلية للفضاء العمومي التلفزيوني

An Analytical Approach to the Television Public Sphere

أولا: التصور المعرفي والتمثيل الهندسي للفضاء العمومي التلفزيوني

ثانيا: البرنامج التلفزيوني " المناظرة الكبرى " (جنوب إفريقيا)

أولا : التصور المعرفي والتمثيل الهندسي للفضاء العمومي التلفزيوني

Cognitive Visualization and Engineering Representation of the Television Public Sphere

إن التعامل مع الهندسة كفلسفة مادية ذات مدى وأبعاد تواصلية يعزز مقاصد الأطروحة لسد الفجوة بين تفاوتات الفضاء العمومي المادي واللاّ مادي والاستدلال بذلك إلى نماذج تساعد على تنظيم بيئة تلبي حاجة المواطنين إلى فعاليات تداولية جدلية بأسلوب مساواة غير معقد، فلقد ارتبطت العمارة بالطبقة والمكانة الاجتماعية منذ القديم وحتى يومنا لازالت تؤدي إلى إدراك القيم الإنسانية المتجلية في الفلكلور المادي وفضائل أخلاق الأمم وثقافتها، مثل الحرية وخدمة العموم، والتحضر إلى جانب ارتباط المعمار بالنظام السياسي، وكأحد نقاط القوة في دراسة اركيولوجيا المجتمعات يؤدي البحث في مدارك التصاميم الهندسية ومخططات المدن إلى استدراج رؤية جامعة للقواعد والسلوكيات التي تحكم العلاقات الحية، ففي مجتمع المعرفة والعدالة الاجتماعية تمتزج النوايا السياسية للدولة الديمقراطية مع خيال المهندسين المعماريين لتؤلف عمرانا يضفي الطابع الإنساني المتأصل في تقاليد الدولة والنظام أو ما يطلق عليه بـ " هندسة النظم"، ويشمل ذلك الاعتناء بتوطين الساحات وقاعات الخطابة والتعلم، والمجالس الواسعة المتوسطة للمدينة والمرافق العامة الأخرى يتصرف فيها الناس أحرارا مادامت اللوائح والقوانين تعترف لهم بذلك في حدود احترامهم لها، وعلى العكس من هذا تعمد الأنظمة الشمولية إلى جعل حضائر المدن امتدادا للسلطة والنفوذ متجاهلة اتباع أي تخطيط قد يسمح بممارسة تذاوتية نقدية سليمة أو بتنازلها عن جزء من الحريات ويتضح هذا في بذل المهندسين جهودا لحماية مباني الملوك والنخب بالقلاع وإحاطة مؤسسات الدولة بالأصوار الشاهقة وبناء الأقبية والسراديب حولها، وتشييد السجون والغرف السرية وجعلها حصينة بحجم الخبرة التي يمتلكونها، كما يستثني تصميم المدينة إقامة أية فضاءات للتفاوض العام عدا تلك التي

تحشد فيها الجيوش للاستعراض أو تنظم عليها الأسواق أو التي تلقى فيها خطب السياسيين الموالين للنظام، وهي بمثابة مركز لقيادة الجماهير وتوجيهها.

نشأت ما قبل الميلاد واحدة من بين أهم المدن المتفوقة في هندسة تنظيم الحياة الواقعية للفضاء العمومي المادي، لقد أدارت " أثينا Athens " القديمة الديمقراطية أين أمّن تمتع " أفلاطون Plato " و " أرسطو Aristotle" و " أبيقور Epicurus " ... وآخرون بالمهارات المنطقية والجرأة على تحفيز العقل صياغة اتجاهات نقدية كانت كفيلة بجعل " آغورا Agora " حاضنة للمعرفة وأكثر من ذلك الموهبة، ومع احتمالات التسلل غير المرغوب إلى داخل الفضاء والإساءة إلى سمعته كان ضروريا تصريفه عن هذه الحسابات من خلال توظيف مواصفات من الخصوصية نوضحها كما سيأتي .

الكيان المادي لمخطط أغورا – أثينا :

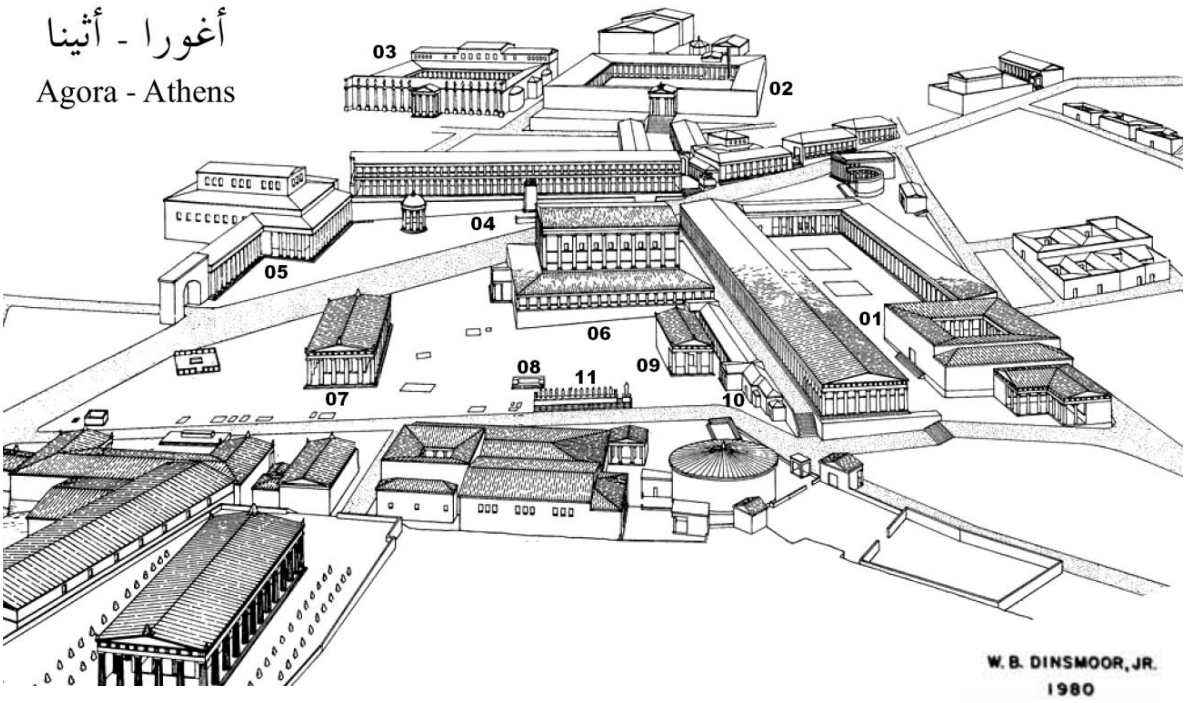

01 – المحكمة 02 – السوق الروماني 03 – مكتبة، قاعة المحاضرات

04 – مركز مغطى للتسوق والتواصل الاجتماعي 05 – كاتدرائية تعقد فيها الجلسات العامة

06 – مسرح 07 – معبد 08 – مذبح 09 – معبد 10 – مكاتب الخدمة العامة

11 – نصب تعلق عليه الإعلانات والتشريعات .[83]

القواعد العامة لنظام الفضاء الأثيني :

تتوسط الأركان المادية للفضاء العمومي مركز المدينة ويلتزم في حيز الأراضي العامة بحدود لا تنتهك ولا تتعدى الأراضي الخاصة، ذكر دليل أعدته المدرسة الأمريكية للدراسات الكلاسيكية في أثينا أن أعمدة حجارة رخامية نقشت عليها عبارة " حدود أغورا " أو " أنا علامة لحدود أغورا " استخدمت لتحديد

[83] John McK. Camp I1 and William B. Dinsmoor¸" **Ancient Athenian Building Methods** "¸ The American School of Classical Studies at Athens¸ 1984¸ p16-17

معالم الفضاء ومنع الأشخاص دون السن القانونية أو المسبوقين بجرائم الدم والقتل أو جنح الإخلال بالأعراف المدنية من الدخول إلى أغورا،[84] علاوة على ذلك اعتمد على نظام لكشف الهوية في معظم الأحوال ومطاردة المجانين، وهي واحدة من بين القواعد ذات الضرورة لحماية وأخلقه الفضاء، وتختلف فضاءات الخطابة والإشعاع الديمقراطي عن المسارح التي تكون في العادة متاحة لجميع المواطنين دون استثناءات، ضمت ساحة أغورا السوق والمحكمة ومكاتب الصرافة، المعابد والمجالس المدنية التي توزع فيها العضوية على القبائل، يمكن اعتبار الأدلة القائمة إلى يومنا من العمارة في أثينا شواهدا على منظومة السيادة الشعبة في اتخاذ القرار المستساغ من التمثيل والتداول .

لقد حرص الأثينيون على اعتماد شريعة جزائية لتناول قضايا النزاع العامة والخاصة في محاكم أغورا العلنية منذ عهد حكم " صولون Solon " وكان من بين مبادئها السماح بحق التصويت العام على مجادلة المدعين والمتهمين واستئناف الأحكام ونقضها، وتشارك هيئة من المحلفين يتم اختيارهم عن طريق القرعة في متابعة المداولات والقرارات القضائية، كانت المحاكم بمثابة مجالس يحتدم فيها العقل وتتنافس فيها الحجج ويترك للحقيقة الحرية حتى تكشف عن نفسها، وبالرغم من أن هذا النموذج لا يبعث رأيا بل حكما عاما إلا أن الجماعة التشريعية إلى جانب القضاة وزعت الحياة السياسية في أثينا على المواطنين حتى يتسنى لهم المشاركة في نظام الرقابة العامة.

إن حرية التعبير في أغورا ليست هي " قول كل شيء "، فلو كانت كذلك لما اتهم "سقراط Socrate" بفساد أفكاره والمجازفة في إفساد المجتمع، ولما أدّت به الحقيقة والحرية التي كان ينشدهما إلى الحكم عليه بالإعدام، خارج حرية يحدد معالمها الأثينيون لا يمكن أن يقوم أي شكل من أشكال الديمقراطية، ويشير هذا إلى الفرق العميق بين " حرية الكلام " وهي المبالغة في المجادلة بالآراء والمعتقدات السلبية، فقد يذهب

[84] John Mck. Camp II, " **The Athenian Agora A Short Guid "**, The American School of Classical Studies at Athens, 2003, p18

المرء في أن يعبر بصراحة عن حقيقة يراها هو بينما لا تعدو أن تكون عند العموم سوى حماقة تثير الاستياء، و" حرية التعبير " التي تقوم على مفهوم حق المشاركة في عملية اتخاذ القرار دون حيازة الحقوق غير القابلة للتصرف،[85] من منظور سقراط القائل " ما دمت أملك عقلا فلن أتخلى عن التفكير حتى آخر نفس في حياتي " فإن ممارسة حرية التعبير هي نشاط عقلي علني يبحث عن حقيقة سليمة وهي تجاوز كل مقدس دون تشويهه وهي فرصة للنقد الصريح دون سخرية، ولا تعني بالضرورة قول كل شيء أو رؤية كل شيء عاريا، فحرية التعبير ينبغي أن تكون اكثر احتراما من حرية الكلام.

إن فكرة تناول الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية في الممارسة المعمارية تعتمد على تمتع المجتمع بمهارات عالية من الإبداع حتى تستوعب التصاميم المعمارية أكبر عدد من الأوصاف الحضارية، ولأنه يبدو بديهيا في الوقت نفسه أن يُحتمل خلل في الالتزام بحدود الفضاء العمومي أو الانطواء على إضرار بأخلاقياته يفترض استعارة نظام تحكّم يقوم باحتواء العنف والتعسف المتعمد إلى جانب حراسة الديمقراطية من شراء وكلاء السلطة لمقاعد تمويه إضافية في الفضاء.

تتصل الحياة اليومية في عصرنا بشكل مباشر بالإعلام والبيئة الرقمية الجديدة، ونتيجة لهذا التشبيك الموسع أصبحت الممارسات العفوية في الواقع محاطة بثقافة الانخراط في الفضاء العمومي بشكل تلقائي مبرمج على أداء أدوار مهمة في النسيج التكنوقراطي للدولة وما إلى ذلك من القيام بأعمال تتجاوز صياغة الرأي وحرية التعبير إلى نهج معد للتفوق على الأساليب الكلاسيكية الأثينية، ويأتي التلفزيون في أول أنظمة الإعلام المؤهلة لبناء هندسة اتصال ذات أبعاد واقعية لفضاء معد بالكامل للوصول إلى المواطنين داخل حدود الدولة وخارجها بتكلفة منخفضة عن أتعاب هندسة المعمار والوقت، وبالمهارة الكافية حتى ينتقل من مجرد أداة أو وسيلة إلى مشروع إذكاء الديمقراطية في العالم.

[85] Arlene W.Saxonhouse , **Free Speech and Democracy in Ancient Athens**, First edition, Cambridge University Press, UK, 2005, p87

ومما سبق بيانه نمثل وصفا وظيفيا لهندسة الاتصال على أنها مجموع المهام التي تؤدي إلى تصميم العناصر والكيانات المادية واللامادية لنُظم الإعلام، تمدها بالأدوات التقنية والمعارف الفنية والمبادئ التوجيهية المرتبطة بأخلاقيات التواصل الضرورية لإدارة النقاش المتابع من الحضور الجماهيري الواسع، وتؤثر فعاليتها على نجاح أو فشل الأعمال البرامجية الاعلامية.

إن تَمَثُّل المناظرة التلفزيونية كأنموذج متأصل في أنماط التأسيس الديالكتيكية لتلفزيون الفضاء العمومي من المستويين المادي واللامادي يؤدي بنا إلى ضرورة تقديم عرض بياني يسمح علاوة على إمكانية تطبيق المعايير والمبادئ على اجزائه إلى اعتبارها – المناظرة – المشروع الذي يجيب ويفسر كيف يمكن للتلفزيون أن يقتنص قواعدا تواصلية تمكنه من البروز باستقلالية من خلال نظام هندسي يفتح المجال لفهم جديد للعقلانية التي ظلت لوقت حبيسة تفسيرات فلسفية دون أن تتمكن من التأصل كواقع له حدود وقواعد من المتناول الوعي بها .

مخطط تلفزيون الفضاء العمومي – أنموذج المناظرة:

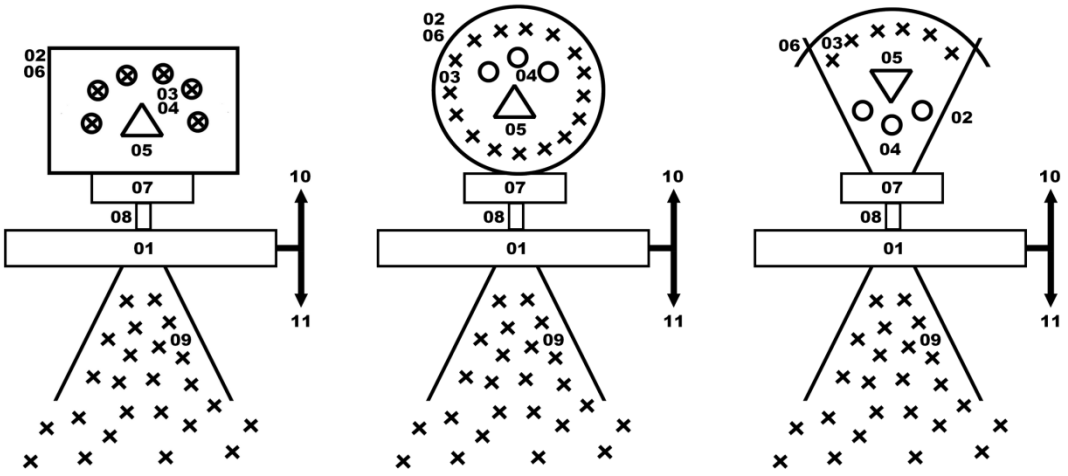

نظام التحاضر **الحلقة** **منصة المواجهة**

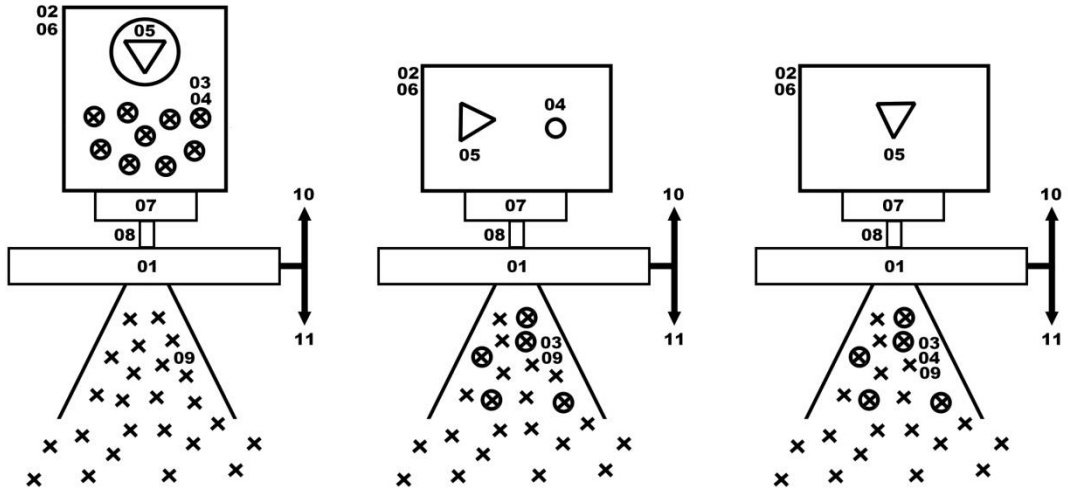

التناظر المشبّك **مناظرة الخط المفتوح** **نظام المناولة**

دليل المخطط: 01 – **جهاز التلفزيون** 02 – **الاستديو** : " المنتدى التلفزيوني " أو الرقعة أين تعد البرامج الحوارية والمناظرات وتحرر الصورة والصوت. 03 – **جمهور الاستديو** : المواطنون الذين يشغلون حيزا من " المنتدى التلفزيوني " ويُتوقع أن يشاركوا في فعالياته.

04 – **المتناظرون:** الافراد المحتلون لمركز المجال والمثيرون لأصل وقاعدة النقاش، وهم المثقفون، الخبراء، السياسيون أو القادة .. والعموم من المواطنين، يتعاقبون على إبراز مواقفهم وآرائهم المتعارضة والمتباينة وتجاربهم بممارسة خطابية عقلانية سليمة. 05 – **قاضي المناظرة:** المضيف من ينوب عن الضمير الجمعي أو الحق العام : هو مدير النقاش، الصحفي القائم بإدارة الحديث ويكون فردا واحد أو أكثر.

06 – **حدود الاستديو** : يلتزم المنتدى التلفزيوني مثل فضاء أغورا بحدود ومعالم، واستقلالية مادية.

07 – **المزيج الإخراجي** : ينشأ بتضافر العمليات المطلوبة لإخراج حلقة البرنامج التلفزيوني ويعتمد ذلك على تضامن وتعاون طاقم من الفنيين، التقنيين، ومهندسي الديكور والإضاءة والصوت الذين تقع عليهم مهمة إدارة المنتدى التلفزيوني، ويشترط أن يكون فريق الإخراج والإنتاج محايدا عن النقاش، تقف مسؤوليته عند حبك مختلف الفعاليات النشطة الفيزيائية والرقمية إضافة إلى شبك المشاهدين بالاستديو.

08 – **الناقل** : الهيئة أو الخدمة التي تتولى الدمج بين الفضاء التلفزيوني المادي واللامادي وتؤدي مهمة تشغيل البث التلفزي الفضائي أو الإلكتروني وهي المؤسسات المالكة للأقمار الصناعية المتخصصة في البث التلفزي والمشغلة لها . 09 – **جمهور التلفزيون / العامة** : المشاهدون، المشاركون والمتفاعلون عن بعد مع القضايا المحتدم حولها عبر " الاتصال الحي ". 10 – **الفضاء العمومي التلفزيوني المادي** : الحيز، الموقع حيث " المنتدى التلفزيوني " المصمم من عناصر يديرها " المزيج الإخراجي ". 11 – **الفضاء العمومي التلفزيوني اللامادي** : هو حيث المجال الذي يشغله الجمهور خارج حدود " المنتدى التلفزيوني ".

أنظمة مخطط تلفزيون الفضاء العمومي – أنموذج المناظرة:

أ – **نظام التحاضر** : يستقر في هذا المخطط الجمهور على أكبر مساحة في المنتدى ويقابله المضيف والمتناظرون. ب – **الحلقة** : يتوسط المتناظرون والمضيف دائرة يوزع على حدودها الجمهور. ج – **منصة المواجهة** : يتألف هذا الأسلوب من مضيف وأطراف تتداول على التناظر فيما بينها ويؤهلها الحق في ممارسة التصويت أو صناعة التوافق إلى أداء دور الجمهور في ذات الوقت . د – **التناظر المشبك ومناظرة الخط المفتوح** : ينفرد المضيف إلى جانب طرف متناظر داخل الفضاء المادي بينما يُشبك متناظرون آخرون من خارج المنتدى التلفزيوني عبر الخط المفتوح أو يستقل قاضي المناظرة بفرد رئيسي داخل الاستديو بينما يشبك البقية عن بعد . ن – **نظام المناولة** : يتحقق هذا الفضاء بشرط أن يكون المضيف محور المناظرة يستعرض أفكاره ويدير الحديث ويناظر من يقابله من المتحدثين الذين يأخذون نفس أدوار جمهور نظام المواجهة .

ثانيا : البرنامج التلفزيوني " المناظرة الكبرى " (جنوب إفريقيا)

TV Show "The Big Debate" (South Africa)

نستند في تحليل المحتوى على تطبيق أسلوب التجميع والتجزئة والقراءة التأويلية والتفسير من أجل التوصّل إلى نتائج نموذجية تساعدنا في استشرافٍ تطبيقي يدعم الإجابات النظرية المقدمة سابقا حول إشكالية وتساؤلات الأطروحة، تلبية لذلك ومن أجل تتبع السلوك التواصلي وإيضاح التداولية التلفزيونية وتجريب نجاعة القوانين العقلية والأخلاقية الجدلية في الفضاء التلفزيوني المادي بأسس منهجية انتقينا حلقة من برنامج مناظرة يمثل فيها الضيوف وجمهور الاستديو مجتمع التحليل، بينما يتم اختيار عينة قصدية مكونة من متناظرَين (02) من مجموع خمسة متناظرِين بناء على توقع أن يحققا مبدأ معقولية النقاش ويلخص احتدامهما في الرأي مقاربة عامة لموضوع المناظرة محل الاختبار، وفردين (02) قصديين من الجمهور المشارك في الممارسة الحوارية بناء على الأسباب والأهداف ذاتها .

البرنامج محل الاختبار:

المناظرة الكبرى " The Big Debate " برنامج تلفزيوني متسلسل يهتم بإثارة القضايا ذات الجدل الواسع في جمهورية جنوب إفريقيا من خلال إجراء مناظرة تستضيف صناع القرار ونشطاء النخبة وتسنح لمختلف الأصوات التي تشكل مجتمعات اللفيف الوطني والقومي والدولي بالمشاركة والتعبير عن الرأي ومناقشة القضايا السياسية والاجتماعية وكل ما يثار حوله الجدل من أجل ترسيخ مواقف جامعة والتوصّل إلى حلول توافقية للصراعات والمشكلات المتوقعة، أشرف على الإنتاج والتنفيذ منذ عام 2009 وإلى يومنا " بن كاشدان Ben Cashdan " مدير منظمة Broad Daylight Films Foundation وشارك في تطوير البرنامج منظمة حقوق الإنسان FHR ومن بين مقدمي أو مستضيفي المناظرة : " ريدي

تلهابي Redi Tlhab " و" ماسيشابا ليكالاك Masechaba Lekalake " و" سيكي مغابديلي Siki Mgabadeli "، تُبث المناظرة في العادة الثلاثاء الساعة التاسعة مساء 21:00 PM على قناة eNCA وكل أحد الساعة العاشرة صباحا 10:00 AM على قناة ETV وشبكة SABC وقنوات تلفزية أخرى بالإضافة إلى النشر الواسع لحلقاتها على مواقع ومنصات شبكة الأنترنت.

الحلقة :

بُثت مسجلة التاسعة مساء 09:00 PM يوم 11 فبراير من سنة 2014 على القناة التلفزيونية eNCA ونشرت على القناة الخاصة بالبرنامج في موقع يوتوب Youtube بتاريخ الثاني عشر (12) من نفس الشهر والسنة، متاحة عبر الرابط : (https://www.youtube.com/watch?v=jpLFdtSNwpU) تعرضت في ضوئها المذيعة " سيكي مغابديلي Siki Mgabadeli " في حجم زمني مدته (52:34 دقيقة) إلى موضوع " العنصرية في جنوب إفريقيا " وأدارت النقاش حول إشكالية رئيسية هي : هل فشل مشروع " أمة قوس قزح " في جنوب إفريقيا ؟

المخطط الوصفي لنظام استديو المناظرة :

أقيم استديو المناظرة داخل قاعة بنظام الحلقة، يتولى مركزها المضيفة أو المذيعة وحولها المتناظرون يحيط خلفهم مدرج كراسي يشغله جمهور بشكل دائري حول مركز الحلقة.

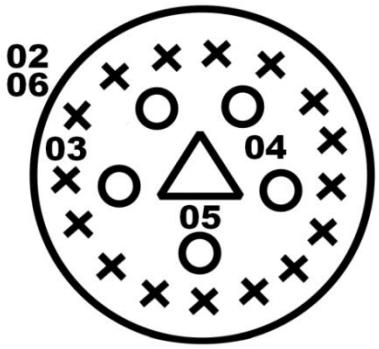

صورة شاشة – من فيديو الحلقة إلى الجانب مخطط استديو تلفزيون الفضاء العمومي " نظام الحلقة " (عد إلى الصفحة 104)

مجتمع التحليل:

استضافة المناظرة خمسة متحدثين وهم كل من : " كيا دلانغا Khaya Dlanga " خبير تسويق " سيسونكي مسيمانغ Sisonke Msimang "كاتبة معارضة للأبارتايد والفصل العنصري، " سينات بريدجز Sunette Bridges " ناشطة في حركة Red October المناهضة للعنف ضد البيض، و" بيار دي فوس Pierre De Vos " باحث في القانون الدستوري، " ليبو ماشيلا Lebo Mashile "شاعرة ، بالإضافة إلى تواجد جمهور داخل الاستديو مكون من طلاب ونشطاء في المجتمع المدني صحفيون .. ومواطنون من أعراق محلية مختلفة شارك من بينهم (18) شخصا في النقاش.

العينة :

عينة المتناظرين (أ) : " سينات بريدجز Sunette Bridges " ناشطة في حركة Red October المناهضة للعنف ضد البيض و" ليبو ماشيلا Lebo Mashile " شاعرة.

" سينات بريدجز Sunette Bridges "

" ليبو ماشيلا Lebo Mashile "

عينة الجمهور (ب) : وهما مواطن من عرق " البوير " أصول الاستيطان أوروبي لم يظهر اسمه في البرنامج ونطلق عليه " دافيد David "، وطالب من السكان الأصليين يُدعى " تامسانكا مليلو Tamsanqa Mlilo ".

" تامسانكا مليلو Tamsanqa Mlilo "

" دافيد David "

إشكالية وفروض الاختبار:

يرى " يروغن هابرماس Jürgen Habermas " أن ليس هناك غير ممارسة الديمقراطية كسبيل لتذويب الانتماءات العرقية والاثنية وتطهير الايديولوجيا من المشاعر المسيطرة على كينونة الأفراد غير القابلة للاعتراف بالآخر، ولتجنب سيادة التواصل المشوه تستند هذه الممارسة على احترام شروط التداول المعتدل إنه من خلال قابلية المحتوى الإعلامي للدراسة التطبيقية يأتي هذا النموذج المقدم للتحليل للبحث في مدى الاستجابة لتلك الشروط ليضع برنامج المناظرة الكبرى " The Big Debate " محل تساؤل هل يستجيب هذا الفضاء إلى الأسس المثالية للديمقراطية التداولية ؟ وما مدى نجاحه في صوغ رؤية لفضاء

عمومي تلفزيوني مشترك ومستقل قادر على معالجة إشكالية اسبقيه الفرد على الجماعة في ضوء مشروع أمة قوس قزح ؟

إن أزمة الشرعية التي يثيرها مجتمع جنوب إفريقيا إنما هي مسألة أخلاقية محضة قريبة من التجاوزات الكانطية للنظام العام، بحيث أن الإفراط في كسر حدود الدائرة الوطنية الضيقة للانتقال إلى عصر يوتوبيا الفضاءات المتعددة والمجموعات السياسية فوق الوطنية يتغذى على بناء هوية من منطلق الاعتراف العام بها، انطلاقا من هذا يتجلى افتراض الوصول إلى معيارية عقلانية وحداثية ترتضي التضامن المشترك بين أعراق جنوب إفريقيا المشاركة في معترك الفضاء العمومي التلفزيوني لإعادة صياغة الرؤى المتعثرة منذ عقدين في بلورة اتفاق يشعر أعضاء اللفيف الاجتماعي بالتراضي، وفي الوقت نفسه مزامنة النقاش العام مع إثارة مصلحة مشروع أمة قوس قزح لتجاوز الانقسامات والتوتر وهو الغاية الرئيسية لفعل التواصل العقلاني.

الاستعراض النصي لمناظرة عينتي التحليل (أ) و (ب):

افتتحت " سيكي مغابديلي Siki Mgabadeli " المناظرة : *" جنوب إفريقيا مجتمع متعدد الثقافات، في 1994 " مانديلا " جعلنا نؤمن بأننا نعيش في أمة قوس قزح متحدين باختلافنا، ولكن اليوم من خلال سياساتنا وتجاربنا في المجتمع اتضح لنا أن المجموعات لازالت تتعامل فيما بينها على أساس العرق، وهذا يكشف أن مشروع قوس قزح قد فشل، لماذا ؟ "*

وفور تقديمها للمشاهدين هوية المتناظرين وترحيبها بجمهور الاستديو قالت : *" قبل أن نستهل إثارة سؤال هل فشل مشروع أمة قوس قزح نشاهد هذا المقطع "* ثم عرض محتوى اعد خصيصا كمقدمة للمناظرة حجمه الزمني 04:38 د ابتداء من الدقيقة 01:22 إلى الدقيقة 06:00 من الحلقة وأهم ما جاء فيه :

" في عالم التسويق دائما ما يؤخذ في عين الاعتبار التنوع كما هو الحال في الإعلانات ولكن في الحياة اليومية ليس سهلا بناء مجتمع مساواة ومصالحة بين جميع الفئات بنفس الحقوق وبإنصاف، يقول منديلا: " من بين أولوياتنا تحقيق المصالحة الوطنية والمساواة بين جميع الأعراق كنا نسعى إلى أن تتمتع كل فئة بحقوقها "، يتمتع البيض في جنوب إفريقيا بفرص عمل خمس مرات بالمقارنة مع السود وهذا ما يصنع فارقا في الدخل بين الفئتين، كما أن التمييز العنصري لا يظهر فقط مع الفقر وفرص العمل بل أيضا في الانقسامات المجتمعية وينعكس على سلوكيات الأفراد ومعاملاتهم، يعاني السود في جنوب إفريقيا من تعنيف معنوي وعلى وجه الخصوص أولئك الذين يشتغلون عند البيض " .

في الدقيقة 23:47 من الحلقة تطرح " سيكي مغابديلي Siki Mgabadeli " سؤالا على المدربة " تيريزا أوكلي سميث Theresa Oakley-Smith " وهي من بين جمهور الاستديو :

" كيف تتعاملون مع فكرة قوس قزح في مكان العمل؟ " أجابتها : *" تسير الأمور في الجانب السلبي ولا وجود للإدماج أو التطور من ناحية التقبل خاصة في مجال العمل، عشرون عاما عن فكرة قوس قزح .. التمييز العنصري موجود بحدة في البلاد، لا يحب المواطنون الحديث عن العنصرية، ما يجب فعله هو التفاوض والتواصل حتى نتفاهم، بعد كل تلك المدة مازلنا نسمع أصوات عنصرية – أنا وحركة أكتوبر الأحمر، أنا ولون بشرتي ..- من المفترض أن لانسمع هذا النوع من الخطاب العنصري، علينا الاتحاد والتخلي عن خطابات الألوان "*

تقاطع " سيكي مغابديلي Siki Mgabadeli " المتحدثة لتسألها : *قالت " سينات " أن البيض يشعرون بأنهم لا يملكون فضاء خاصا في أمة قوس قزح فما رأيك؟* ترد : " تيريزا أوكلي سميث Theresa

Oakley-Smith ": *" نحن كبيض استفدنا كثيرا من الفضاءات وليس لدينا اية مشكلة مع نظام الأبارتايد العنصري وهذه المسألة لا تطرح على البيض ".*

في الدقيقة 26:16 تتدخل " سيسونكي مسيمانغ Sisonke Msimang " معلقة : *" فقط عندما أتقبل أن السود لديهم قوة داخلية مثلما هم البيض يمكن أن يحدث التواصل مع بعض في جنوب إفريقيا جديدة، ولا يجب أن اربط قدراتي بالقول أنا أسود ".*

أ – عينة المتناظرين :

بداية من الدقيقة 27:20 تقول الشاعرة " ليبو ماشيلا Lebo Mashile " *: " عندما أسير في الأحياء حيث المجتمعات الفقيرة فإنني أرى أن الاختلالات الموجودة في تلك المناطق المحرومة هي جزء مني ومن تاريخي، وما يثير القلق عندما أرى الأشخاص الذين يمتلكون الكثير من السلطة والثروات أسأل هل يفكر هؤلاء في انهم فعلا محظوظين "* وهي تنظر إلى " سينات بريدجز Sunette Bridges " تضيف : *" لديكم الكثير من السلطة ولكن يجب أن تعترفوا بذلك حتى يكون من السهل التفاهم بيننا، .."* (تصفيق الجمهور) تواصل : *" فنحن نختلف معكم في سياسة التجنيد حيث أن هناك جيل من البيض يرفضون تجنيدهم في الخدمة العسكرية (تصفيق الجمهور) فهل هذا الأ لم نفسه بين السود والبيض ؟ .."* (تصفيق الجمهور).

الدقيقة 28:27 ترد " سينات بريدجز Sunette Bridges " قائلة : *" نقاشنا الديمقراطي لا ينكر أنكم لا تحملون آلاما، فالبيض هم من صوتوا مع الديمقراطية .."*

تقاطع " ليبو ماشيلا Lebo Mashile " تقول : *" لا لم يفعلوا، لا لم يفعلوا، لا لم يفعلوا ..."*

تعود " سينات بريدجز Sunette Bridges " : *" رجاء انصتي .. في 1992 شارك البيض في الاستفتاء لتقرير إنهاء الفصل العنصري .. "*

" ليبو ماشيلا Lebo Mashile " : *" آنذاك لم تكن جنوب إفريقيا بلدكم، ولكننا اعترفنا بأنكم كنتم هنا " (تصفيق الجمهور) " هذه بلدنا جميعا .. لنا جميعا "*

يقف رجل أبيض من بين جمهور الاستديو يقاطع الشاعرة بقوله : *" هذه ليست ملكك، هذه ليست ملكك "*

الدقيقة 29:50 تتدخل المضيفة لتهدئة الحوار : *" يجب ان يكون التسامح بيننا من فضلكم .."* تعيد الحديث إلى " سينات بريدجز Sunette Bridges " لتقول : *" اعتقد ان المشكلة لا تطرح بين المواطنين الموجودين هنا، بل إن القضية تطرح بين السياسيين والحكام وهم من يقررون، مازال خطاب – المستوطنون والبريطانيون استولوا على المناجم – متواصلا مع إثارة الخطاب الاستعماري الكلاسيكي، .. لا نستطيع أن نتغنى من جهة بالمصالحة ومن جهة أخرى بالتنمية والتطور "* "(حياد الجمهور).

" ليبو ماشيلا Lebo Mashile " : *" اتفق معك أن هناك خطاب يستخدم للتأثير والتلاعب بالرأي العام ولكننا نبحث عن الخطاب الذي يتكلم ويثير الحقيقة، ونريد أن نعرف كيف يمكن للبيض أن يستوعبوا ماذا فعل أسلافهم لنا ؟ وكيف قاموا ببناء درع حول انفسهم؟ هذا الحوار مهم .. أريد أن أفهمه كامرأة سوداء،.. لا يمكن أن ننفي أو نتظاهر بأنه لم يحدث عنف ونمحو التاريخ وأنه لم يكن هنالك أي استعباد .. "(تصفيق الجمهور).*

الدقيقة 32:04 تأخذ المضيفة الكلمة لتستقطع المناظرة بين " سينات بريدجز Sunette Bridges " و " ليبو ماشيلا Lebo Mashile ".

ب – عينة الجمهور :

ما مجموعه " 18 " رجلا وامرأة من البيض والسود من جمهور الاستديو شاركوا بالتعبير عن آرائهم في فعاليات المناظرة اخترنا من بينهم " دافيد David " وهو مواطن من عرق " البوير " ذي الأصول الاستيطانية الأوروبية وطالب من السكان الأصليين لجنوب إفريقيا وهو " تامسانكا مليلو Tamsanqa Mlilo ".

في الدقيقة 37:24 يتدخل " دافيد David " قائلا : *" هناك من يريد تحقيق الوحدة وهم بحاجة إلينا، نحن لا نريد المشاركة في هذا ولن نشارك، نملك الحق والشرعية في ملكية هذه الأرض "* *(ضحك الجمهور إنكارا لحديثه)* يواصل : *" إذا عدتم إلى التاريخ سترون بوضوح أننا " البوير " قد كنا هنا في التاريخ الغابر نتفاوض ونواجه "* *(ضحك الجمهور إنكارا لحديثه)*

الدقيقة 38:15 يغادر رجل من جمهور الاستديو السود حلقة المناظرة مستهجنا لحديث " دافيد David " بينما يواصل هذا الأخير *" .. علينا تقبل الحقيقة "* .

توجه المضيفة " سيكي مغابديلي Siki Mgabadeli " سؤالا لـ " دافيد David " : *" إذا كما نعيش في البلد نفسه، ماذا نفعل حتى نحقق الاتحاد معا ؟*

يجيب " دافيد David " : *" إن هذا سهل للغاية، يمكننا العيش بسعادة بوضع الحدود، حتى يصبح لكل طيف أرضه الخاصة "*

" سيكي مغابديلي Siki Mgabadeli " : *" أليست هذه هي الأبارتايد ؟ "* *(ضحك الجمهور)*

" دافيد David " : *" بالفعل .. نعم "* .

الدقيقة 39:22 مباشرة فور أن ينتهي " دافيد David " من الحديث يقوم أفراد من الجمهور ساخطين ويغادرون حلقة المناظرة.

في الدقيقة 44:10 بعد سجال بين المتناظرين تعود المضيفة إلى الجمهور: *" نترك الكلمة الأخيرة للجمهور "*

الدقيقة 45:57 يتدخل " تامسانكا مليلو Tamsanqa Mlilo " : *" أملك أصدقاء من جميع الأعراق، هنود وبيض، متلونون .. ما هو مهم في كل هذا هو الحب، لا يهم إن كنت اسودا أو أبيضا أو من أين أتيت، بل ماذا يوجد بداخلي وماذا يمكنك أن تقدم لي واقدم لك، هناك من لا يريد سوى العودة إلى الابارتايد (تصفيق الجمهور)، لا اعتقد أن مشروع أمة قوس قزح انتهى بل لايزال موجودا(تصفيق الجمهور)، نحن كأمة بحاجة إلى أن نتحدث وأن نعمل معا قدما نحو الأمام " (تصفيق الجمهور) .*

وحدات وفئات التحليل :

نأخذ في إعداد استمارات التحليل ثلاث وحدات أساسية لكل وحدة ثلاث فئات للقياس جاءت في مخطط " فيليب بغوتون Philippe Breton " (عد إلى مدخل الفصل الثاني) والوحدات هي : التحكم، الحجاج والإقناع، مع إدراج وحدة ثانوية هي – الزمن "، أما الفئات المرتبطة بالجمهور فهي " الاستجابة والإنكار والحياد " تتصل بحساب وحدة الإقناع، إضافة إلى استثمار قراءة محتوى جدول الاستمارات التكرار المشار إليه بـ " عد التداول " والنسب المئوية والوصف العام لها في تحري سيرورة التواصلية العقلية وأخلاقيات النقاش.

والتحكم هو: وحدة تختبر التمكن الجيد والمتسلسل للموضوع والالتزام بعدم الشرود عن المحاور الرئيسية للمناظرة أو تجنب الإجابة على الأسئلة بأسلوب واضح، مع تفاد ارتكاب أي ربط بين ما هو " رأي

شخصي " وما هو " رأي عام " في خلال تداول أو تناول الكلام والحجج، وهو أيضا الانضباط في احترام الوقت المتاح وإجادة توزيعه أثناء العرض المقدم.

وفئاتها / التسلسل : تراتب الأفكار والمعلومات، الانضباط : التقيد بالموضوع محل النقاش، الرأي: التوازن بين الرأي الشخصي والعام، ولا يقصد به انصهار الآراء بل التوافق بينها.

وحدة الحجاج : الإتيان بالبينة والإثباتات التبريرية للقول أو الفعل – التجربة – أو الفكرة – المعرفة – ويكون ذلك بالأدلة العقلية المنطقية، لا ينطوي على التعقيد أو الخداع أو التضليل ويقبل الحجاج النقض وقد يكون نقضا في حد ذاته لحجة مناظرة له.

فئاتها / الأدلة: إلقاء الدليل والبرهان، النقض: الأحكام وأفكار المضادة، الوضوح : سلامة الحجة.

وحدة الإقناع : هو حمل الناس على تصديق الأفكار والآراء إلى درجة الإشادة والتأثر بها واعتمادها في التعبير عن المواقف وتبرير السلوكيات، توافق حالة " الإقناع " في المنتدى التداولي تصفيق الجماهير على الفكرة أو الحديث أو الاقتراع لصالحها، وعكس ذلك يعبر عن حالة " الإنكار "، ويستمد الإقناع قوته من الثبات في التحكم والإقامة البليغة للحجاج، وعد تداول الاستجابة أو الإنكار أو الحياد يختلف عن عد فئات باقي الوحدات ذلك أن تسجيل " الاستجابة " في أحيان كثيرة يقابله " لا إنكار و لا حياد " وبالتالي يتضح أن مجموع قيم وحدة الإقناع قد ينشأ عن قيمة فئة واحدة.

فئاتها مرتبطة بالجمهور وهي / الاستجابة : وتظهر بالتصفيق أو التهليل، الإنكار : استهجان الجمهور وتوتره، الإعراض والحياد : عدم إبداء أية استجابة.

أما **وحدة الزمن**: فهي حصة كل فرد عينة من الوقت المستغرق في الحديث وتحسب بالثواني وتكشف الوحدة الحظوة الزمنية.

استمارات التحليل:

وحدة التحكم

	عينة المتناظرين				عينة الجمهور			
	ليبو ماشيلا **Lebo Mashile**		سينات بريدجز **Sunette Bridges**		دافيد **David**		تامسانكا مليلو **Tamsanqa Mlilo**	
فئات وحدة التحكم	عد التداول	النسبة	عد التداول	النسبة	عد التداول	النسبة	عد التداول	النسبة
التسلسل	04	33.33	02	33.33	01	50	03	37.5
الانضباط	03	25	03	50	01	50	02	25
الرأي	05	41.67	01	16.67	00	00	03	37.5
المجموع	12	100	06	100	02	100	08	100

قراءة وتفسير النتائج : سجل تداول فئات وحدة التحكم عند عينة المتناظرين فارقا متسعا في فئة " الرأي " بنسبة 25 % وعلى نحو أداء " ليبو ماشيلا Lebo Mashile " إلتزم الخطاب الجمع بين دائرة التوجهات الخاصة للسكان الأصليين في تحقيق السلم والرفاه ومشروع أمة قوس قزح بالنظر إلى تقبلها لوجهات نظر " سينات بريدجز Sunette Bridges " من أجل صوغ رأي توافقي، في المقابل تعود هذه الأخيرة إلى حركة " أكتوبر الأحمر Red October " محاولة إثارة منظومة قيم مجتمع " البيض " التي لا تخلص إلى التضامن بين الأعراق وتبحث اكثر عن التمتع بالحظوة وتفترض أن يكون البيض قادرين

على منح انفسهم المزيد من الفرص كقوى محركة للتاريخ، وقد حاولت " سينات " إبراز ذلك بالتركيز على مشاركة البيض في الاستفتاء عام 1992 على أنها كانت مساهمة في صلب بناء مستقبل جنوب إفريقيا ومن الجانب الآخر برز ذات أثر الفشل في دمج الانتماءات القومية مع الرأي المفترض للدولة الوطنية الذي حفزه " نيلسون مانديلا Nelson Mandela " في حديث المواطن من عرق البوير " دافيد David " بحيث اتبع التصور الطبقي في توجيه النقاش، وربط توليد الصراع بتقرير كل طبقة لمصيرها على أن ينطلق مفهوم الحق في الأرض بمنطق الملكية والحق غير القابل للتجزئة، وبذلك قلص من فرصة تحرير ذاته من الجشع الطبقي، معترفا بدعم " البوير " للأبارتايد على العكس من " تامسانكا مليلو Tamsanqa Mlilo " الذي عرض تجربته الشخصية في العيش مع الآخر متخطيا الفضاءات الخاصة للأعراق محاولا أخلقة النقاش وحمله للاتجاه نحو تعزيز فكرة الاندماج الاجتماعي .

وحدة الحجاج

	عينة المتناظرين				عينة الجمهور			
	ليبو ماشيلا **Lebo Mashile**		سينات بريدجز **Sunette Bridges**		دافيد **David**		تامسانكا مليلو **Tamsanqa Mlilo**	
فئات وحدة الحجاج	عد التداول	النسبة	عد التداول	النسبة	عد التداول	النسبة	عد التداول	النسبة
الأدلة	05	45.46	02	28.57	00	00	02	25
النقض	03	27.27	02	28.57	03	50	03	37.5
الوضوح	03	27.27	03	42.86	03	50	03	37.5
المجموع	11	100	07	100	06	100	08	100

قراءة وتفسير النتائج : يتضح من قيم تداول فئة الأدلة أهم فئات وحدة الحجاج عند المقارنة بين عينتي المتناظرين والجمهور أن المسائل المتعلقة بتوزيع الثروة واستغلال الموارد في جنوب إفريقيا كونها بحاجة إلى إثبات حاولت العينتان إقامة الأدلة والحجج بشأنها كل بحسب انتمائه ومعززات براهينه، غير أن صدقها كان حاسما للسود على نقيض ما قدمه البيض ونرجع ذلك إلى إساءة التقيد بالموضوعية وغياب الصدق والمصارحة، ومن ناحية أخرى سيطرت الفوضى في أجواء متقطعة من المناظرة كوسيلة لدحض الحجج ورفضها وهو ما وصفه أحد المتفرجين في تعليق له على المناظرة قائلا " إنها اقرب من أن تكون مبارزة " ويفسر فلاسفة اللغة والعقل أن تُشترط الحجج من أجل قيام المعرفة ودون ذلك فالمناظرة ليست سوى مجرد "كلام " لا تقوم عنه أية دعوة تنويرية للعقلانية .

وحدة الإقناع

	عينة المتناظرين				عينة الجمهور			
	ليبو ماشيلا **Lebo Mashile**		سينات بريدجز **Sunette Bridges**		دافيد **David**		تامسانكا مليلو **Tamsanqa Mlilo**	
فئات وحدة الإقناع	عد التداول	النسبة	عد التداول	النسبة	عد التداول	النسبة	عد التداول	النسبة
الاستجابة	04	100	00	00	00	00	03	100
الإنكار	00	00	00	00	02	100	00	00
الحياد	00	00	03	100	00	00	00	00
المجموع	04	100	03	100	02	100	03	100

قراءة وتفسير النتائج: كما أوضحنا فيما سبق فإن استثمار المتحدثين الجيد في التحكم والحجاج هو مسلك التوصّل إلى الإقناع وإثارة استجابة جمهور الاستديو، ومع أن التفاعل يأخذ منحى يتبع " هوية

الجمهور " إلا أن مبدأ الإقرار الجماعي العلني هو انسب وسائل إثبات وقياس الإقناع ومأسسة الراي العام لقد حققا " ليبو ماشيلا Lebo Mashile " و " تامسانكا مليلو Tamsanqa Mlilo " إجماعا واستجابة واسعة من الجمهور يرجع ذلك إلى اعترافهما بالحوار الجديد الرافض للفصل العنصري دون ان يكون ذلك على حساب البيض، وعلى العكس من ذلك عند المقارنة مع استهجان الجمهور لما أثاره كل من " دافيد David " و " سينات بريدجز Sunette Bridges " فإن توظيفهما للخطاب من أجل الدفاع عن فكرة سيادة " البيض " في جنوب إفريقيا أثار عنصر المفاجأة لدى الجمهور لأنهما لم يعترفا بشكل واضح بأبرز مبادئ مشروع أمة قوس قزح كالتسامح والعيش معا والتنمية للجميع، وهذا لا يستثني منا أن نشير إلى أن الاستجابة والإنكار أثارهما غالبية السود الذين كانوا اكثر حضورا ضمن جمهور الاستديو، وعليه يمكننا القول أن المناصفة في توزيع الحق في الكلام على البيض مثلما حضي به السود لم تكن على قدر من المساواة هذا بالرغم من التزام المضيفة " سيكي مغابديلي Siki Mgabadeli " بالموضوعية .

وحدة الزمن

	عينة المتناظرين				عينة الجمهور			
	ليبو ماشيلا Lebo Mashile		سينات بريدجز Sunette Bridges		دافيد David		تامسانكا مليلو Tamsanqa Mlilo	
	الزمن (ثا)	النسبة	الزمن (ثا)	النسبة	الزمن (ثا)	النسبة	الزمن (ثا)	النسبة
	140	50.18	139	49.82	114	65.14	61	34.86
المجموع الزمني	279 ثا				175 ثا			
مجموع النسبة	100%				100%			

تفسير وتحليل النتائج : نجحت مضيفة المناظرة في تحقيق تكافؤ في الزمن المتاح لكل من عينتي المتناظرين ويظهر عند قياس الوقت مع ما حققه كل طرف من العينة أن إقامة الحجج هي ابرز وحدة تحقق فارق الإثارة والإقناع بين المتناظرين ولذلك فان استغلال الحصص الزمنية في صناعة القوالب الحجاجية أهم من التعبير عن الخلافات ووصفها، وهذا ما اتجه إليه الطالب " تامسانكا مليلو Tamsanqa Mlilo " برغم فارق الزمن المستغل بينه وبين المواطن من عرق " البوير " الذي استغرق 114 ثانية بنسبة 65.14 في المائة في ممارسة اللامعقولية وهذا ما جعله مثار استهجان من الجميع ودفع بالبعض من الجمهور إلى مغادرة حلقة المناظرة .

استنتاجات التحليل :

ولأن من بين بواعث دفع الناس للمناظرات العامة هو إذابة الحواجز والمسافات والانفتاح على أسس سليمة من التفاعل والاعتراف المتبادل يفترض على المشاركين في المنتدى الالتزام بقواعد وأخلاقيات نقاش بقدر ما هو محتمل أن توحد الرأي ولا تجزئه أو تعيد صياغته على انقاض آراء شخصية غير قابلة للتبديل أو التصريف، ومن يمكنه تقديم أعقل الحجج وأكثرها إقناعا وتأثيرا في الجماهير يحقق الأداء المرغوب الجدير بتعزيز مجتمع الاتصال وتلك المرونة في التناسق بين الأفكار المتعارضة بواسطة استخدام الأشخاص للفضاء كسبيل لسد الفجوة بين النخب السياسية والمواطنين دون التفكير في السيطرة عليه، ومن خلال تشكيل إرادة تكوين "عقل مشترك" حول المسائل ذات الاهتمام الواسع يتم تمثيل الاختلافات والمجموعات العرقية فقط إذا حافظت على احترام الخط الصارم للحوار دون تجاوز مستويات من الفعل والتي نعُدها في تحليل العينات (التحكم، الحجاج، الإقناع)، ويضطر أي ضعف في تناولها بالمتحدثين إلى الخروج من مجموع الكائنات العاقلة على حد قول " يورغن هابرماس Jürgen Habermas " ومثل ذلك ما طَبع النقاش

الذي قادته كل من " سينات بريدجز Sunette Bridges " و " دافيد David " حيث عملا على إعادة هيكلة آرائهم العرقية والأخذ بها كمواقف مفسره لظاهرة العنصرية في جنوب إفريقيا، وبذلك فشلا في الوصول إلى تقدير من الجمهور بل ودفعا إلى التوتر في فضاء حلقة المناظرة على النقيض من الطالب " تامسانكا مليلو Tamsanqa Mlilo " و " ليبو ماشيلا Lebo Mashile " إذ ظفرا بتأييد عام بدعوتهما إلى تجديد الإيمان بمشروع أمة " قوس قزح " مع تجاوز الخلافات على أساس العرق واتبع كلاهما تركيز الحديث على الإشكال المثار أول المناظرة بالدقة والصدق والحقيقة.

عن طريق التحقق من هذه الملاحظات واستنادا إلى النِسب والقيم يمكننا القول أن اختبار الوصف والتحليل العام للمناظرة من خلال الفيديو المسجل لها غير كاف لفهم صراعات المجتمع التي تنطوي على معايير أخلاقية تقليدية، وتؤدي في أحوال كثيرة إلى فشل المناظرات لارتباطها بمعاملات ووحدات تتصل مباشرة بالمزيج الإخراجي أو " مسرحة المناظرة " عند تغليب حضور فئة داخل الاستديو على فئة أخرى مثلا أو التلاعب في توزيع الوقت وغيرها من الأساليب التي يصعب التدقيق فيها بأسلوب تحليل المحتوى أو إفشالها سوى عن طريق الرقابة الشعبية على الفضاء العمومي التلفزيوني وهذا ما يستعدي إلى اتباع أداة الملاحظة بالمشاركة لفحص جدوى التحليل أو استحداث أدوات أكثر صرامة.

لقد نجح فضاء المناظرة في إرساء ديمقراطية المناصفة الجماهيرية على اعتبار أن يأخذ بزمام صياغة رأي عام حول مشروع أمة قوس قزح، كما استغل المواطنون من الجنس الأبيض والأوروبيين ضمان عقلانية تواصلية لتناول مسألة الاندماج وموقعها من المشروع وأخذ ازمه الشرعية السياسية بأسلوب حر تجاوز الفضاءات التمثيلية الخاصة إلى فضاء ذو توجه عام قابل للتفاوض والنقد المتنصل من العنف والكراهية ولذلك نعتبر أن الفضاء العمومي التلفزيوني المادي المستقل عن مصادر الهيمنة نسقا واقعيا قادرا على تجاوز الأيديولوجيات التقليدية نحو عصر التنوير المبني على التواصل بامتياز .

خاتمة : Conclusion

إن الحديث عن الفضاء العمومي لا يجدي من فائدة ما لم يتبعه توصيف الممارسة، فهو في الأساس نظام للحياة الإنسانية وليس مجرد مقدمة فلسفية للتدريس المستفيض تعلقا بالحريات، وبغض النظر عن كونه سندا حصريا للمواطنين العقلاء الملهمين بالديمقراطية في إضفاء الامتياز والشرعية للفرد أمام المجتمع فإنه يمنح الدولة تصورا يعبّر حقيقةً على أن الأشخاص المتحررين لا يمكنهم استكمال حقوقهم السياسية إلا وهم يسعون إلى التفاوض على المصالح المشتركة مع العموم، ومن هذا الطرح يتضح أن الدعوة لمتناوِل الأطروحة بتفحُصِ هذه المؤشرات لن تكتسب اي ضجيج نقدي خارج بيان التوصيات التالية :

سيكون من الضروري أولا تخليص الفضاء العمومي من قيود الاسقاطات السطحية المفروضة حوله ذات الصلة بالخلط بين النفاذ إليه عبر وسائل الاعلام وقيامه على قاعدة الصناعة الاعلامية، والحياد عن تقديم قراءات في ميدان علوم الاعلام والاتصال مستوحاة بوجه خالص من الفلسفة الكلاسيكية التي لا تستوعب المعرفة المستقلة عن فكرة " الوسيلة، الوسيط، المنصة، القناة، .. " وتتناول تحليلا يتناقض مع مفهوم كفاءة نظم الاعلام وهو التنظير الموازي لما يحب أن يطلق عليه " يورغن هابرماس Jürgen Habermas" _ الكفاءة التواصلية _، إن دفعنا " مشروع هندسة الاتصال " تناوله عنوانا ثانويا للأطروحة جاء لإثارة رؤية جديدة حول جوهر ممارسة الفضاء العمومي ولأجل بعث التلفزيون كملهم للديمقراطية من الناحية المفاهيمية من جهة والتحفيز إلى تحرير إشكاليات تخدم مستقبل الحداثة التي لم يتحقق مشروعها بعد من جهة أخرى.

ثانيا : قدم هذا الانتاج الأكاديمي محددات تعريفية للتلفزيون وسوسيوسيميائية الحجاج البصري وهندسة الاتصال انطلاقا من تصور يدعم الابتعاد عن ما نتوقعه من تسويق لمفردات شائعة واسعة الاستهلاك لا تصلح لاستخدامها كقيمة مضافة الى هذا النوع من الدراسات التحليلية أو مقاربتها مع

التحولات الحاصلة في الكليات وهيئات البحث والتطوير الأكثر اهتماما بتحسين تداول الفضاء العمومي والتي عادة ما تطلق مصطلحات حديثة على غرار معهد الأبحاث الاجتماعية بجامعة غوته و BBC Media Action بحيث تحقق نشر منظور جديد يتلاءم والمشاريع التي تسعى الى الترويج لها .

كما تنصرف الأطروحة عن اختبار برامج ومضامين مؤسسات الانتاج التلفزي الخاصة والهيئات الوطنية للإعلام الحكومي في الجزائر بسبب محاذير تداول اجتهادات المدرسة النقدية في تحليل بيئة لا تستقل عن إكراهات السلطة الحاكمة وعسيرة على احتواء الأصوات المتعددة، ويدعم هذا الانصراف لوائح وتقارير الاتحادات والمنظمات الدولية بشأن حرية التعبير وحقوق الانسان في الجزائر، والمضايقات الجزائية المفروضة على ممارسة مهنة الصحافة في البلاد وضعف قوانين الاعلام أمام الاعتداد القضائي بتطبيق قانون العقوبات على جنح الصحافة، وحيث يناط بالحق في الفضاء العمومي منذ آخر تعديل للدستور 2020 ككفيل معزز لحماية " المرأة " من العنف تُثار فرضية تعويم مفاهيمية على اساس رأس مال سياسي.

جاء في المادة 40 منه : *تحمي الدولة المرأة من كل اشكال العنف في كل الأماكن والظروف، في الفضاء العمومي وفي المجالين المهني والخاص، ويضمن القانون استفادة الضحايا من هياكل الاستقبال ومن أنظمة التكفل، ومن مساعدة قضائية.*

ويتضح أن القصد من مصطلح " الفضاء العمومي " بحسب ما أفاده مقرر لجنة الخبراء المكلفة بصياغة مقترحات مراجعة الدستور في إجابة على مراسلة طلب إفادة لنا في الموضوع البروفيسور العقون وليد هو : كل حيز متاح للعامة من الناس، الميادين والفضاءات والساحات حيث يتوقع ان تتعرض فيها المرأة للاعتداء.

هذا يعمد بنا للاكتفاء بالإشارة إلى أن الفضاء العمومي في الجزائر لا يصلح إثارة دراسة حوله كظاهرة قابلة للتجزئة ومن ذلك إجراء تحليل في حدود مؤسسات اعلام خاضعة لجحيم ديمقراطية أحادية الاتجاه.

ثالثا : احتملت الأطروحة امتلاك نموذج المناظرة المقدرةً على صياغة عناصر قيام ونشأة تلفزيون الفضاء العمومي على مدى اتباع مبادئ أخلاقيات الاتصال التي جاءت بها مدرسة فرانكفورت، إضافة إلى كسر قاعدة العمومية الشعبية بوضع الحدود كما يتأصل في هندسة الفضاء الأثيني "حجرة حدود أغورا " وهذا سلامةً للفضاء من الفشل في تأطيره والاخفاق في الكشف عن الحقيقة كما يجب.

رابعا: ان استقلالية هيئات الانتاج والبث ومؤسسات الاعلام عن جماعات الضغط السياسية والايديولوجية وأشكال التمويل المزيفة من الأنظمة والشركات الاقتصادية شرط أساسي في قيام الفضاء العمومي التلفزيوني، كما أن ذلك لا يقل أهمية عن تفعيل الرقابة الشعبية لدفع محاولات السيطرة على الجماهير بعيدا .

أجابت الأطروحة بأسلوب خال من الغموض عن سؤال مشروعية تلفزيون الفضاء العمومي وقدمت تصورا يتوافق مع طموحات المهنيين والأكاديميين في إرساء مسطرة نظرية وبناء عقلاني بإمكانه الجمع بين الفرقاء ومضاعفة حظوظ قيام الجدل التنويري، وجاء المقترح المتصل بالرقابة الشعبية ليوجّه المسؤولية المشتركة في مقاومة أيديولوجيا المسوخ والاستهلاك لصالح اخلقه التواصل وتدارك قصوره، ولعل محاولات انتشال الإنسان من دوامة نظم الإعلام لم يعد يحكمها كما كان في السابق "التأثير" بل "الحرية" التي أصبحت مشهدا يتغلب التلفزيون في ترجمته إلى واقع يعيشه ويتمثله الفرد، وبحسب هذا الرأي يتحقق البعد الحضاري للفضاء العمومي بمظهرين أولهما الطابع الهيكلي المتصل بالواقعية وثانيهما " الأنسنة " و/ أو " الأخلاق " وهي المشروع الذي لاتزال المجتمعات تسعى وراء تحقيقه، أن تكون قادرا على إثارة السؤال: هل بإمكاني

التفكير خارج الدستور ؟ هو الاستغناء عن فضيلة طاعة الحكم إلى الأبد، ولكن الأهم من ذلك أن تسأل وتجيب عن كيف يمكن تبرير ذلك أمام الناس جميعا ؟ إلا إن كنت تعيش في مجتمع التلفزيون المصمم لمثل هذه الطوارئ الديمقراطية هنالك فقط تمتلك المقدرة على اختراق البعد الواحد لتقرير المصير الجمعي.

المصادر والمراجع باللغة العربية

1. أديب خضور، **الإعلام والإرهاب التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية الخبرة العالمية**، ب ط، المكتبة الإعلامية، دمشق، 2009
2. حسن مصدق، **يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية**، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005
3. علي محفوظ، **فن الخطابة وإعداد الخطيب**، ب ط، دار النصر للطباعة الإسلامية، مصر، 1984

***

4. نصر الدين لعياضي ، " **إشكالية الفضاء العمومي والتلفزيون في الدول العربية** "، مجلة الصورة والاتصال، 01-01، سبتمبر 2012
5. نور الدين علوش، " **تحولات الفضاء العمومي في الفلسفة السياسية المعاصرة: من هابرماس إلى نانسي فرايزر** " المجلة التونسية للدراسات الفلسفية 54-55، 2015/2014

***

6. " **الشعوب الأصلية ومنظومة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان** " صحيفة الوقائع رقم 09 الأمم المتحدة، نيويورك وجنيف، 2013
7. " **الهيئات العامة للإذاعة والتلفزيون لماذا ؟ وكيف ؟** " تقرير صادر عن المجلس العالمي للإذاعة والتلفزيون – اليونسكو، 2001

المصادر والمراجع باللغات الأجنبية

1. Alfred Schmidt, Gunzelin Schmid Noerr, **Max Horkheimer Gesammelte Schriften Dialektik der Aufklarung und Schriften 1940 - 1950**, Fischer Verlag GmbH, Germany Frankfurt,
2. Allan Stuart, **Media Talk Conversation Analysis and the Study of Broadcasting** First Published, Open University Press, New York USA 2006
3. Anna Triandafyllidou and Ruth Wodak and Michal Krzyanowski, **The European Public Sphere and The Media Europe in Crisis**, First edition, Palgrave Macmillan, UK, 2009
4. Arlene W.Saxonhouse , **Free Speech and Democracy in Ancient Athens**, First edition, Cambridge University Press, UK, 2005
5. Bernard.C.Cohen,**The Press and Foreign Policy**, First edition, Princeton University Press, USA, 1963
6. Bernard M. Timberg, **Television Talk A History of the TV Talk Show**, Second edition, University of Texas Press,USA, 2004
7. Binkuromo Ogbedor, **British Media Coverage of the Press Reform Debate**, Electronic edition, Palgrave Macmillan, UK, 2020
8. Brian McNair, **News and Journalism in the UK**, Fifth edition, by Rourledge, USA, 2009
9. Dale F.Eickelman and Jon W.Anderson, **New Media in the Muslim World the Emerging Public Sphere**, Second edition, Indiana University Press, USA, 2003
10. Daniel C.Hallin, **Television Journalism and the Public Sphere**, Electronic edition, by Taylor and Francis e-Library, 2005
11. Darren Kelsey, **Media, Myth and Terrorism**, First edition, Palgrave Macmillan, London, 2015

12. David Morley and Kevin Robins, **Spaces of Identity global Media, Electronic Landscapes and Cultural Boundaries**, Electronic edition, the Taylor and Francis e-Library, 2002
13. David Morley, **Family Television Cultural Power and Domestic Leisure**, First edition, by Routledge, 1986
14. David Morley, **Television Audiences and Cultural Studies**, First edition, by Routledge, USA and Canada, 1992
15. David Ward, **The European Union Democratic Deficit and the Public Sphere**, edition not mentioned, Amsterdam The Netherlands, 2002
16. Elliot Gaines, **Media Literacy and Semiotics**, First edition, by Palgrave Macmillan, USA, 2010
17. Fred S.Siebert and Theodore Peterson and Wilbur Schramm, **Four Theories of the Press**, Electronic edition, University of Illinois Press, Urbana and Chicago
18. James Curran and David Morley, **Media & Cultural Theory**, First Published, by Routledge, USA and Canada
19. John Budarich and Gil-Soo Han, **Minorities and Media**, Electronic edition, by Palgrave Macmillan, UK, 2017
20. John Fiske and John Hartley, **Reading Television**, Second edition, by Routledge, USA, 2003
21. John Fiske, **Television Cultur : Popular Pleasures ans Politics**, 10 edition, by Taylor & Francis e-Library, London, 2001
22. John Fiske, **Introduction to Communication Studies**, Second edition, by Routledge, New York, 1990
23. Jürgen Habermas, **Strukturwandel der Offentlichkeit**, First edition, Suhrkamp, Germany, 1990
24. Jürgen Habermas, **Theorie des Kommunikativen Handelns**, Band 02, First edition, Suhrkamp, 1988

25. Jürgen Habermas, **Theorie des kommunikativen Handelns**, Band 01, Second edition, Suhrkamp, Germany, 1981
26. Kathleen Fitzpatrick, **The Anxiety of Obsolescence The American Novel in the Age of Television**, First edition, Vanderbilt University Press, USA, 2006
27. Marshall Mcluhan,**Understanding Media The Extension of Man**, First edition, Library of Congress Cataloging-in-Publication Data, USA, 1994
28. Natalie Fenton, **New Media Old News Journalism and Democracy in the Digital Age**, first edition, Sage Publication LTD, UK, 2010
29. Nuria Lorenza-dus and Pilar Garces-Conejos Blitvich, **Real Talk : Reality Television and Discourse Analysis in Action**, First edition, by Palgrave Macmillan, England, 2013
30. Paddy Scannel, **Media and Communication**, SAGE Publications, First edition, London, 2007
31. Pauline Johnson, **Habermas Rescuing the Public Sphere**, First edition, by Routledge, USA, 2006
32. Peter Dahlgren and Colin Sparks, **Communication and Citizenship Journalism and the Public Sphere**, Electronic edition, the Taylor and Francis e-Library, 2005
33. Peter Dahlgren, **Television and the Public Sphere Citizenship Democracy and the Media**, Third edition, Sage Publications Ltd, London, 2000
34. Peter Goddard, **Popular Television in Authoritarian Europe**, Edition not mentioned , by Manchester University Press, UK, 2013
35. Petros Iosifidis, **Public Television in the Digital Era**, First edition, by Palgrave Macmillan, USA, 2007
36. Philippe Breton, **L'argumentation dans la communication**, Third edition, Editions La Decouverte, Paris, 2003

37. Pippa Norris, **A Virtuous Circle**, Second edition, Cambridge University Press, USA, 2000
38. Sergey Tyulenev, **Translation In The Public Sphere**, Electronic edition, Palgrave Macmillan, UK, 2018
39. Sonia Livingstone and Peter Lunt, **Talk on Television Audience Participation and Public Debat**, First edition, by Routledge, London, 1994
40. Sonia M. Livingstone, **Making Sense of Television**, First edition, Pergamon Press, USA, 1990
41. Susan Jeffords and Lauren Rabinovitz, **Seeing Through the media The Persian Gulf War**, Edition not mentioned, Library of Congress Cataloging-in-Publication Data, USA 1994
42. Talcott Parsons, Edward Shils, Kaspar D. Naegele, Jesse R. Pitts, **Theories of Society**, Volume 01, Edition not mentioned , The free Press of Glencoe INC, New York USA, 1961
43. Valeria Alia And Simoune Bull, **Media and Ethnic Minorities**, Edition not mentioned, Edinburgh University Press Ltd, UK, 2005
44. Victoria Knight, **Remote Control Television in Prison**, First edition, Palgrave Macmillan, UK, 2016

***

45. Eliséo Veron, **Il est là, je le vois, il me parle**, Sociologie de la communication, v1, n°1, 1997
46. Gunn Enli and Trine Syvertsen, **(Not Yet) The End of Television**, Media and Communication, Vol 4, Issue 03, 2016

47. Immanuel Kant, "**Beantwortung der Frage:Was ist Aufklärung**?",Berlinische Monatsschrift 04, Königsberg Prussian, 30 September 1784

48. James Bohman, "**Expanding dialogue: The Internet, the public sphere and prospects for transnational democracy "** the Sociological Review, Vol 52, Issue 01_suppl, 2004

49. Jay G.Blumler and Dennis Kavanagh " **The Third Age of Political Communication : Influences anf Features**" , Political Communication, 16-03, 1999

50. Ofra Bengio and Gabriel Ben-Dor," **Minorities and the States in the arab World "**, Lynne Rienner Publishers, Inc,1999

***

51. " **How do Political Debate Programmes Influence Political Participation**? " A Case Study From Nepal Report of BBC Media Action media action, by Chris Larkin and Rhian Were, September 2013

52. "**How Do Campaigns Shape Vote Choice ? Multi-Country Evidence From 62 Elections and 56 TV Debates** " Working Paper ,by Caroline le Pennec and Vincent Pons, Havard Busness School National Bureau of Economic Research, December 2019

53. " **Many Voices One World** " Report by the International Commission for the Study of Communication Problems, United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, 1980

54. **"The France 2 Al-Durrah Report its Consequences and Implications "** Report of the Ministry of International Affairs and Strategy of Israel، 19 May 2013

55. " **Measuring Fake News - Die methode** " by stiftung neue verantwortung e.V، Berlin، December 2017

56. Elisabeth Braw، **Citizen alienation and the political and media elite**، Reuters Institute Study Journalism Working Paper ،2004

57. John McK. Camp I1 and William B. Dinsmoor،" **Ancient Athenian Building Methods** "، The American School of Classical Studies at Athens، 1984

58. John Mck. Camp II، " **The Athenian Agora A Short Guid** "، The American School of Classical Studies at Athens، 2003